من
ذاكرة التاريخ



محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي



من ذاكرة التاريخ

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

ISBN: 978-614-480-175-8



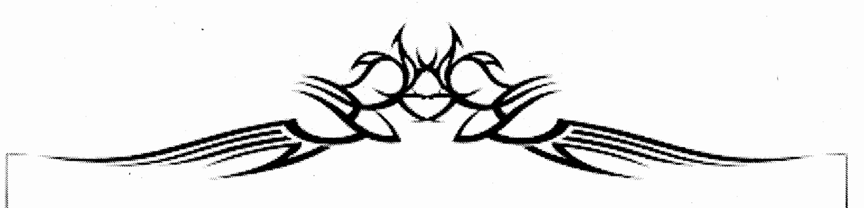




محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي







الإهداء

إلى أولئك المعذّبين في الأرض..

إلى الذين شربوا من هذه الحياة كأساً مترعةً بالشقاء والمُرِّ..

إلى أولئك، أرفع هذا الحرف.

20/1/1430هـ

17/1/2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين حمداً لا يحصي له أحد وليس له أمد، على ما منَّ عليَّ من فضله وألطافه من نِعَمٍ جِسام، وهذا الكتاب من كرمه وتفضّله، وهذه الكلمات توطئة لتوضيح ما احتواه ذاكرة التاريخ، فهذا الكتاب يجمع عدة سوانح ومخاطرات تمرّ عليَّ فتفيضُ فكراً في حرفٍ يتجسد في مقالٍ يصور ما وراء جوهر الحرف، وما يهدف له في أيامٍ وليالٍ مختلفة التاريخ حتى ثارت نجوماً تضيء عتمة هذه الحياة فترشدنا وتعطينا عبرة من تجارب الأجيال الماضية؛ لعلّنا نستفيد منها، فإنّ الماضي تجربة للحاضر، ومن لا ماضيَ له فلا حاضر له، وإنّي أخالف قول أحد الشعراء اللبنانيين، وعلى ما أظنّ إلياس فرحات:

إنا ضحكنا من الماضي ولا عجبُ

إنْ كان حاضرنا أضحوكة الآتي

حيث يقول ما معناه: إنّ الزمن الماضي سخرية للحاضر، والحاضر سيصير سخريةً للآتي، وهذه الفكرة خاطئة؛ لأنّ الماضي تجربة ودرس للحاضر، والحاضر سيصير درساً للآتي.

وقبل أن أختتم حرفي أتدارك نسياناً حيث أغفلنا وثيقةً في كتاب العبقري المغمور المطبوع، سأثبت صورة منها في هذا الكتاب حيث لم تنشر في الطبعة الثانية في العبقري المغمور؛ حفظاً للوثائق التاريخية، وأختتم حرفي بآية من القرآن العظيم الذي فيه النور والهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

(ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وأن أعملَ صالحاً ترضاهُ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) هذه الآية الكريمة ختام حديثي، أسأل المولى الكريم المنان أن يتفضل عليَّ وأن يوفقني للعمل بهذه الآية الكريمة، والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الخيّرين الكرام.

2018/12/19م

1440/4/12هـ

هذه الوثيقة تحصلت عليها من السيد/عبد الرزاق حسن الزاهر

السلام عليك يا [illegible]

[illegible]

[illegible]

الأكرم العالم التقي المهذب [illegible] الشيخ علي [illegible]

[illegible] سلام عليكم ورحمة الله

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في جوف هذا الخطاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في جوف خطابك والسلام عليكم [illegible]

[illegible] ١٣٢١ [illegible]

٢٧

[illegible]



لم تداعب

في ليلة من ليالي الشتاء الطوال، أو بالأحرى في ليالي القوس التي تكون لياليَه أطول الليالي في فصول السنة، لم تداعب مقلتي أصابع الكرى، فسبحتُ في أفقٍ وطفتُ في سماء الخيال أقرأ ما في صفحات كتاب الكون من ألوان خطوب تتعاقب على حياة المرء في صورٍ ذات ضروب متلونة مثل تلون الحياة، فما دواء هذه الخطوب التي لو وقعت على الجبال لدكتها دكاً، فبينما الإنسان يعيش أوائل الليل في رفاهية من حياته فإذا هي في أواخر الليل تنعكس عليه انعكاس الضد للضد فيظلّ في حزن عميق لا يعرف أين المخرج منه.

فالأحداث تتلاحق في هذه الحياة كما يعقب الصباح الليل ويعقب الليل الصباح، وبين الجديدين ألوانٌ قد تكون أقوى من الإنسان، ولكنّ الإنسان إذا فكر بعقله واستمدَّ الحول من حول وقوة ربه إذ لا حول له ولا قوة إلا بالله، فبهذا يسطيع أن يكون أقوى من هذه الأحداث وأقوى

من الحياة عندما يركن إلى ركن ركين وحصن لا تزعزعه العواصف ولا تدمره حوادث كما تدمر المدن، والركن العظيم هو الإيمان بالله والتسليم له، فعند ذلك تخضع له الأحداث، ويتغلب عليها بقدرة خالقه وقوته، فالأحداث تكمن في ثوانيه ودقائقه، فالإنسان الذي لا يلجأ إلى ركنٍ ركين قد يضيق صدره بهذه الأحداث فيؤدي به إلى الانتحار أو إلى الموت البطيء، أما الإنسان الذي يركن إلى ركن ركين وثيق فلا تهزّه الأحداث الجسيمة المرة به، في كلّ شيء وتحاصره من كلّ ناحية من نواحي حياته.

إنّ الذي يركن إلى هذا الركن يعيش سعيداً ولا يعبأ بهذه الخطوب والأرزاء، إنّ في الإيمان طمأنينة منجعة لكلّ خطبٍ وحدث، فإذا مرّ بالمرء حدثٌ وابتلاء في فقدِ ابنٍ له، أو عزيز أو أخٍ لجأ إلى هذا الركن وعاش في تلك الأجواء الروحية التي لا يغشيِّها دخان ولا يعلق بها وساوس الشيطان فيتغلب بإيمانه وقوة استعانته بخالق السماوات والأرض على هذه الأحداث حتى ليعجب منه بعض الزملاء لاستقباله تلك الأحداث بثغرٍ باسم وبصدرٍ رحب يحمد الله ويشكره، ويطلب منه التعويض عن ذلك الحدث في هذه الدنيا والآخرة، والآخرة هي المأوى وجنة المؤمن، فنحن المسلمين لدينا رصيدٌ ضخم يخفف عنّا كلّ ألمٍ ومصيبة، لو عملنا ما فيه من تعاليمٍ قرآنية وسنة نبوية على تطبيق الواقع لفزنا بالسعادتين.

خرجت بك، يا قارئي، عن فاتحة المقال عمّا مرّ بي في جوّ تلك الليلة الساهرة أو بالأحرى الليلة القلقة، ولكنني لا أعتبر هذا خروجاً عن صميم الحرف.. الحرف التعبيري، كنتُ في تلك الليلة القلقة أفكر

فيما مرّ بي من أزمة حدثٍ ألمَّ بزوجي، فعشتُ على وهج ذلك الحدث في حياةٍ مضطربة وجوٍّ لهَّاب تكاد الحياة تضيق عليَّ برحبها، وسرعان ما لجأتُ إلى فاطر السماوات والأرض وفوضتُ الأمر كلّه له؛ لأنه هو القادر والدافع والمانع لكلّ حدثٍ وملمةٍ وتلوتُ بعض الآيات من كتابه الكريم المنزَّل على رسوله الكريم ﷺ وآله، فكأنما نزل على قلبي برداً وسلاماً، وضرعتُ لله خاشعاً لائذاً بحصنه المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول، فمن لجأ إليه وتوكل عليه فقد نجا من كِرَبِهِ ومن كلّ ملمةٍ تُلِمُّ به وتمرّ في حياته فإنني متوكلٌ عليك يا ربّي وطالب منك التفضل عليَّ، وما حياتنا إلا تفضُلٌ منك أن تمنَّ على زوجي السقيمة بالشفاء وتجعل الصلاح في برئها وإعادتها لنا، يا من يحيي العظام وهي رميم، فإنّ الإنسان في هذه الحياة هو يشبه الزورق الصغير في ثبج موجٍ تقذفه الأمواج وتعصف به الرياح، فلا يُدرِكُ ما يحيطُ به من ألوان هذه الخطوب التي تتدفق حوله كأمواجٍ من قطع الليل ولا يبددها إلا ضوءٌ يرسل إليه من نفحات خالق السماوات والأرض خالق كل شيء، فعليك يا ربّي توكلتُ وبك آمنتُ.

أختم هذا الحرف القصير بهذه الآية الكريمة التي فيها كنزٌ من الإيمان.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة غافر: آية 44)

1425/11/15هـ

2004/12/27م



النسيان من الهناء

ستألفُ فقــدانَ الذي أنتَ فاقــدهُ

كإلفكَ وجـدانَ الـذي أنتَ واجـده

طالما ردَّدتُ هذا البيت بإعجاب وإكبار؛ لما فيه من روعةٍ وصورةٍ متحركة تجسد الواقع تجسيداً، كم كنتُ أردده وأنا أنظر إلى مقولته التي لا زالت شريطاً تُمثلُ في حياة كلّ شخصٍ وأنا أجهل قائله، ولكنما الشعر شعرٌ وإن جُهِلَ قائله. ما أكثر الضياع في هذه الحياة والتّيه، فقد ضاع مفكرون بين جدران التاريخ وسحقهم الزمن بكلاكله فلم يذكرهم أحدٌ ولا يمرون حتى على هامش التاريخ.

إنّ للحظ دوراً يلعبه في كلّ شيء، فقد يحتفظ التاريخ بمفكر هزيل أو شاعر لم تتحفه ربَّةُ الشعر بشعر، إنما هو ناظمُ كنظَّام الأراجيز، لكن

الحظ حالفه فبقي يعيش في ذاكرة التاريخ يصارع الحياة كأنه لم يطوَ من هذه الحياة، ونأسف كلّ الأسف لضياع هذا الشاعر الذي كانت هذه المقولة من بنات أفكاره، كيف ضاع وطُويَ في زاوية النسيان.

ردّد معي هذا البيت لتلمس فيه البلاغة والفكرة الواقعية التي تساير الإنسان وتواكبه في حياته، ليس على الإنسان بهيّنٍ أن يفارق أخاه أو ابنه أو أمه أو أيّ عزيزٍ عليه كأفلاذ كبده فيشاهد مصرعها في لحظةٍ ثم يدفنها في التراب أمام عينيه ويودعها ويعود يائساً من عودة ذلك الحبيب لا لقاء بعد تلك اللحظات إلا يوم الحشر، وإنّها للحظةٌ مُرةٌ لا تطاق، ولكنَّ فاطر السماوات والأرض له عناية وفضلٌ بعبيده فهو أشفق عليه من أيّ شفيق فتفيض من لطفه رحمةً وسكينة على ذلك القلب المجروح فتضمده ضماداً ليس بعده ضماد؛ حتى لا يدور الزمن دورته اللولبية في سرعته على ذلك المصاب العظيم الذي لولا عناية الله لرحل بعده بأيامٍ أو لحظات.

إنَّ فضل الخالق لهُ الفضل العظيم ورحمته التي وسعت كلّ شيء، فأظنكَ وأنت توِّدع عزيزاً من أعزّائك كان معك لا تفارقه ليلاً ونهاراً، وإذا أنت به قد أُخِذ من يديك وغاب عنك الغيبة التي لا عودة بعدها ولا انتظار، إنما ينتظر الرحلة التي تعقب ما رحل قبله، ولا لقاء إلا في يوم الميعاد، ذلك اللقاء المحفوف برضوان الله ورحمته، فهذا البيت في مقولته الواقعية وانسجامه الحرفي يتدفق قطعة واحدة كموج جدولٍ عذب لا تبصر العين أمواجه المتلاحقة، إنما تبصر منظراً جمالياً فيه روعةٌ تهزّ الأرواح، فالشعر ما هزَّ القلب ومسَّ الروح، كثيرٌ من الأبيات الشعرية أو من مقولات الشعراء لا تصل إلى أفق هزة الروح، فالشعر ما

سمرك، وبتعبيرٍ أدقّ هو ما أسكر الأرواح في آفاقٍ بعيدة تتيهُ الأرواح في تلك الأجواء وتسكر بتلك الخمرة المعنوية.

اِرجع معي واقرأ البيت الذي هو في صدر هذا البحث لتوافقني على هذه الرؤية وتوافقني على ما يمرُّ بما في هذا البيت من مقولة صادقة تتجسدُ ظلاً ملموسةً في كلّ حياة شخص، ولولا النسيان لما لذّ العيش وما فرح المرءُ وما لاحت على شفتيه بسمة.

إنّ المرء يلاقي في هذه الحياة أحداثاً وضروباً من ألوان البلايا قد تنسيه ملذات حياته وتَدَعَهُ في أفقٍ مبطن بظلام اليأس وسرعان ما يتبدد ذلك الضباب ويتبخر من سمائه فيبسم الفجر فتعود حياته إلى طبيعتها وينسى تلك الآلام وكأنه لم يمرّ بها ولم تمرّ به، وهذا من فضل خالقه، ولولا هذا الفضل عليه الذي أنساه هذه الأحداث لما استطاع أن يصارعها وأن يعود إلى طبيعة دنياه من جديد في جدَّة يتجدد مع أضواء الفجر ويضوع العطر منه كما يضوع الزهر.

هكذا الرجل المؤمن الذي يؤمن بالله ورسوله ويطبق تعاليمه، فهو في ذروةٍ من السعادة في دنياه وفي آخرته؛ لأنّ الإسلام علّمنا كيف نتعامل مع الحياة، وعلَّمنا كيف نتعامل مع الموت والقبر والحياة البرزخية.

إنَّ الرسول ﷺ وآله جاء رحمة للعالمين فكان رحمة ونوراً وهدًى، فهنيئاً لمن طبّق تعاليمه في هذه الحياة، وختم حياته بها فإنه يفوز بدرجةٍ قصوى، وينجح في آخرته ودنياه. فصلّى الله عليك يا رسول الله يوم ولدتَ ويوم متَّ ويوم تبعثُ حيًّا، وأتوسّل إلى الله بك وبأهل بيتك

أن تكون شفيعاً لنا في آخرتنا يوم لا ينفع أحدٌ أحداً إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، وشفاعتك هي إحدى الأسباب والطريق الضوئي لأمتك في أخراهم.

1425/11/16 هـ

28 /12 / 2004م





الذكريات صدى السنين الحاكي

إنَّ للذكرى معنًى قد لا يصل لها الفكر ولا اليراع، للذكرى أصداءٌ تتجدد في قلب المرء بتجدد أيامه عندما يدور هذا الكوكب دورات لولبية يطوي فيها العام أو الأعوام بسرعة الضوء للعيون. تعود الذكرى بحلوِّها إن كان فيها مجاجة من الحلاوة أو مرارة من مصائب هذه الحياة ولكنها ذكرى تتردد أصداؤها في مسمع الإنسان وتتمثل شريطاً سينمائيًّا على واقع حياة ذلك الإنسان فيشاهد مناظرها وإن انطوت في تلافيف التاريخ.

إنّها الذكرى وما أدراك ما الذكرى، التي يلازم ظلالها ذلك الشخص الذاكر حتى يومه الأخير إن كان وفياً لأحبابه أو لأيامه، فالمرء بطبعه ألوفٌ يحنُّ إلى ماضيه، وما هذا الحنين المشبوب باللهفة والشوق إلا لأنَّ كلّ يوم مضى يقربه إلى أجله المحتوم، فهو يعيش في لهفة إلى الماضي إلى أمسه القريب الذي انسلخ وغاب عن عينيه وخلّف صورة ذكريات ملامحها تمثل في عينيه وفي قلبه، فلا يزال يتشبث بتلك

الذكريات ويعلل نفسه بما فيها من خيال وأوهام.

هكذا المرء يعيش بين الذكرى والأمل، ولولا الآمال لذبح أمانيه ودفنها كما يدفن ماضيه، وما هذه الذكرى التي استيقظت من جدث الماضي ومثلت أمام عيني لتعيد لي ذكرى دنياً هي من ألأم الذكريات عليَّ، فقد دار هذا الكوكب دوراته المتسارعة وبين هذه الدورات مصارع البشرية ودموع وابتسامات وآلام وآمال، عُدتِ لي يا ذكرى بعد اثنين وستين عاماً هي ذكرى مفجعة، ذكرى رحيل أبي، حيث كان رحيله ليلة الأربعاء في الساعة السادسة بالتوقيت الغروبي ليلة الحادي والعشرين من ذي القعدة عام ألف وثلاثمئة وثلاثة وستين للهجري، الموافق السادس من نوفمبر عام ألف وتسعمئة وأربعة وأربعين ميلادي، فكأني بك يا ذكرى في مشهدك المفجع ومنظرك المريع يهتف بي ابن أخي عبد الرؤوف الشيخ حسن الخنيزي، مع ابن عمّه عبد الباقي بن عبدالله الخنيزي رحمهما الله من وراء بيتي يهتفان بي، وكان شباك غرفتي مطلاً على ذلك الشارع الضيق بنداءٍ فيه نبرة حزن وتفجّع لم يفصحا في ندائهما عمّا وراء الكارثة التي ألمت بهذا الشعب المنكوب، ولكنني أحسست بأنّ قلبي قد وهى، وأنَّ قوايَ كأنما سرى فيهما تخدر وفتور كادا يودِيين بي، ماذا أردتما في هذه الساعة من هزيع الليل؟! ولكنهما تلعثما ولم يزيدا على كلمة، يدعوك أخوك الشيخ حسن حيث لديه ضيوف.

وقد أشرت إلى فصول هذه القصة في كتابي خيوط من الشمس تحت عنوان غروب، وإنما جاءت هذه الأحرف الباكية؛ لاقترانها بالذكرى حيث تَمرّ في ليلة الحادي والعشرين من هذا الشهر، شهر ذي القعدة شهر الحرام، فالذكرى تتجدد عند الأحبة وتلاحق القلب الوفي. الوفي

لآبائه وأحبائه وأصدقائه وما قيمة المرء إلا بوفائه وصدق حبه، فإنّ هذه الذكرى قد أطلت عليَّ من سماء هذه الحياة فصورت لـي تلك الفجيعة فكأني أعيشها، وبالأحرى أنني لم أنسَها وأطيافها تتراقص في حياتي؛ لأنها أول مصيبة أحسست بألمها وأصبحت لا ركن يأويني، كأنني أعيش في حياة تيهٍ أو في صحراء قاسية لا ماء فيها ولا نبات، وسرتُ أعزف على أوتار الحزن أسلسلها قصائدَ في فصول مأساوية يبطن أفقها الشقاء والفقر، إذ لا معين لي في ذلك الظرف إلا خالقي، وكفى به معيناً ومغنياً عن كلّ مخلوق.

هكذا مررتُ بهذا الظرف والثالوث غير المقدّس يعصف بي: موت أبي، والفقر، وإصابتي في عيني، وكلٌّ منها يلاحقني ملاحقة الظلّ إلى الشخص، ولكنني بفيضٍ ولطفٍ من خالق السماوات والأرض وبمددٍ منه تغلبت على الثالوث، وأبحرتُ في ميدان هذه الحياة الهائج العاصف، ووصلتُ إلى مرفأ السلامة ونجوتُ من تلك العواصف العاتية، فأشكر خالقي وأطلب منه المدد والرحمة، فإنه لطيفٌ بالعباد، ولا بُدّ من لمحة من ذكريات؛ لعلّ ذاكرة التاريخ لم أفرغها من تلك الذاكرة إلى ذاكرة الحرف حتى تبقى ذكرى مثالٍ لزعيم ضحى بنفسه ونفيسه في سبيل مبدأ الإسلام والوطن وخدمة الفكر والعلم، وكرَّس حياته ما طرحت أنامله اليراع حتى آخر لحظةٍ وهو يودِّع الحياة لتغرب شمسه، وما غربت حتى تولدت منها أنوارٌ تتسلسل في حروف في مؤلفاته وإصداراته كنهر ترتوي منه الأرواح والأفكار.

لقد أفرغت من ذكريات التاريخ عن حياة الإمام الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي قِطَعاً تاريخية تسلسلت عن حياته؛ لأنّ حياته كلها

عطاء تسلسلت في كتابيَّ خيوط من الشمس، والعبقري المغمور، حيث الكتاب الأخير أقصرته على حياته المخضوضرة التي هي كالربيع.

وفي مقالةٍ كتبتها العام الماضي طُبعت في كتابي أضواء من النقد في الأدب العربي، وإذا كان في زاوية ذاكرة التاريخ بقية من بقايا لم يُعفَّ عليها ذيول النسيان سأذكرها وأفرغها من ذاكرة التاريخ إلى ذاكرة الحرف، وإنني أحبّ أن أسجل في هذا الحرف قصةً أدبية تلقيتها في أحد بحوثه التي يلقيها عليَّ رحمه الله في كلّ ليلةٍ قبل مائدة العشاء وبعدها، وأتذكر مما خزنته ذاكرتي طلب مني أن أعرب هذا البيت:

مهفهف القدّ لغويُ النطاق حوى

معنىً كمحذوف نحويٍّ يقدره

وبعد إعرابي له وتطبيق القواعد النحوية، قال لي: إنّ هذا البيت له قصة معي ومع أحد العلماء العراقيين عندما كنتُ طالباً سألني عن معنى هذا البيت فشرحته له، وعندما شرحته سألني سؤالاً فضولياً مستخفاً: هل تعرف الشاعر السيد حيدر الحلي؟ قلتُ: نعم، وقد قرأتُ له وأحفظ له أشعاراً. فكان جوابي جواب عارف، غير أنّ هذا الشخص- سامحه الله- أردف قائلاً لي: هل التقيت به؟ فقلتُ له: سبحان الله! لقد مضى على موت السيد حيدر ما يقارب اثني عشر عاماً؛ لأنه توفي عام ألف وثلاثمئة وأربعة هجري، ولكنني لا أعرف جواباً لك، وهل هذا انتقاصٌ لغيرك، فأنا أنصحك وأرشدك ألاَّ يكون تعاملك مع الآخرين بهذا التعامل وانصرفتُ عنه.

هذه قصة من القصص التي وعتها ذاكرتي، وتكملة للفائدة نشرح معنى هذا البيت، وهو بيت من النظم ضمنه شاعره معنًى نحوياً ولم يكن من الشعر في شيء، فهو يصف حبيبه بجماله وخفته كما يقدر النحوي الفاعل المضمر أو عائد الموصول إذا كان محذوفاً، فمحبوبهُ حوى معانيَ كهذه المعاني التقديرية فهو يشبه اللغز. وهناك قصص كثر قد ينجلي عنها صدأ الزمن فتنتفض حية أو تموت فيغطيها جدار الزمن فتموت قبل موت صاحبها أو تموت مع موت صاحبها.

إنني إذ أكتب هذا الحرف أصداءً لمرور ذكرى رحيلك يا أبتي؛ لأنني أراه كواجب مقدس عليَّ إحياء هذه الذكرى، فأنت خالدٌ تجري كنهرٍ في حروف إصداراتك تشرب من كؤوسها أرواح العلماء والمفكرين، فالعلماء والمفكرون تذهب أجسادهم وتبقى أفكارهم، وهذا الفارق بين العالم والجاهل، فسلامٌ عليك يا أبتي، وطبت وطابت تربتك، وهنيئاً لك وصبَّ الله عليك شآبيب الرحمة ورفع درجاتك في عليين.

1425/11/22هـ

2005/01/03م





ذكريات

إنَّ الحياة ادِّكاراتٌ تترددُ أصداؤها في مسمع الإنسان وتنعكس صورها بأفراحها وأتراحها وحلوها ومرّها صفحاتٍ في ذهن الإنسان، فلا يكاد يفتح صفحة من صفحات أيام الأعوام الماضية إلا وتطالعه ذكرى حبيبة عليه، أو طيفٌ من ذكرياتٍ مؤلمة مضتِ أيامها يودَّ لو أنها لم تمرّ، ولكن برغم ذا، وذاك صار يحنُّ إلى الماضي وما فيه من حلوٍ ومرٍّ؛ لأنّ الماضي قطعة من عمره يمرَّ به ليقربه إلى ضفاف شاطئ الغروب كلّ لحظة تمضي، فهي تقرب الإنسان إلى طيف الغروب فتأفُل شمسه من هذه الحياة ويصير نسياً منسياً ويغيب عن الأذهان كأنه لم يمرّ بهذه الحياة ولم يصارع هولها، ويسبح في خضمها تموج به الرزايا ولا يعرف ماذا يخبئ له في طيات غدٍ، أو أقرب من ذلك، ولو بعد لحظة.

ولكن الإنسان برغم ما يلاقيه في هذه الحياة من دروب الشقاء والمصائب يحنُّ إليها ويتمسك بها ويتشبث بها كما يتشبث الغريق

بالطحلب وهو لا ينجيه ما لم يعتمد على مركب أمانٍ يقيه من هذا الموج العرم وإلا ابتلعه ذلك الموج.

إننا نَحنُّ ونشتاق إلى الذكريات الماضية، وما أعذبها، إلا أنّها أفلتت من أيدينا وذهبت إلى محلٍّ لا نقدر على إعادته على رغم أنفنا. إنها جزءٌ لا يتجزأ من ماضي ماضٍ انسلخ لا عودة له، ولكننا نَحنُّ إليها حنين الطفل إلى أمه ونتذكرها، يوم لا تجدي الذكرى ونعيش نجترّ من طيوفها لنزود بها حياتنا الحاضرة وإن لم يكن بها مدٌّ لهذه الحياة الحاضرة، إنما هي تحولت إلى خيال ذكرى قد تؤنسنا وتفيض علينا ظلالاً تظلل وهج دنيانا وقد تهنينا وتخفف من آلامنا تلك الذكريات، فما أحلاكِ يا ذكرى وما أمرّكِ، ما أحلاكِ عندما يمرّ طيفك بذكريات حلوة كذكرى أحباب عشنا معها ردحاً من الزمن ولكنها لم تكن غير ظلّ مساءٍ فرَّ من أيدينا، ولسنا نقدر على إعادتها؛ لأننا لا نملك لأنفسنا ضراً أو نفعاً إلا ما شاء الله بيده كلّ شيء وهو على كلّ شيءٍ قدير.

فتبقى الحسرة واللهفة والشوق إلى أولئك الأحباب الذين سندرج على آثارهم ونغيب وراء الصفاح (كما غابوا) بلهفة لأولئك الأحباب الذين تمتعنا معهم زمناً وفارقونا بالرغم عن أنوفنا، وبالرغم منهم؛ لأنه قهر عبادهُ بالموت والفناء، إنه الموت الصامت الناطق الذي يحتوي على أعظم عظةٍ وأكبر آيةٍ لخالق هذا الكون هكذا العبر لو كان هناك معتبر.

عِبَرٌ لو وراءَهنّ اعتبارُ

وادِّكارٌ لو ينفع الإدِّكارُ

فماذا تريدي أن نقول لكِ يا ذكرى وقد صوّرتِ لنا أطياف أحباب وأصدقاءً كلهم غابوا عن أعيننا وانتقلوا انتقالة الضوء من عيوننا إلى قلوبنا، نناديهمُ ولا منادى، ونهتف بهم ولا جواب. أهكذا يملُّ الحبيب حبيبه؟! لا، ولكنها الساعة الفاصلة التي تفصل بين الحياة وبين القيامة والعالم البرزخي الذي يضم أولئك الأحباب كما ضم من قبلهم من أُممٍ وقرون.

أهكذا الحياة تنطوي في لحظةٍ وتتقلص كما يتقلص الظلّ إن صح هذا التعبير، وإلا فليس هناك بليغٌ يستطيع أن يصور هذه الساعة.. الساعة المرعبة التي تمرّ على كلّ البشرية، فإن كان من المتقين فروحٌ وريحان وجنة نعيم، وإن كان من المكذبين الضالين فنزُلٌ من حميم، لقد حددت الآية الكريمة الساعة الفاصلة، وما أدراك ما هي!. حددتها بفريقين، فريقٌ يعيش في النعيم جزاءً لعمله، وفريقٌ يعيش في السعير جزاءً لعمله، وما يظلم ربك أحداً.

إننا نضرع إليك يا ربّ، أن تغفر لنا فيما مضى من عمرنا، وأن تعصمنا فيما بقيَ منه عن الذنوب والآثام، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك.

وختاماً ووداعاً، أيتها الذكرى التي طالعتنا من كوى التاريخ الماضي وأعَدتِ لنا أياماً حلوةً ومُرَّة.

1425/11/25هـ

2005/01/06م



ضاع قلبي

نشرت بمجلة الواحة، العدد الثالث والأربعون، السنة الثانية عشرة ـ العدد الرابع 2006م.

أيّـها الـرائح الـمغذُّ تحـمّل

حـاجـةً للمـعذبِ المـشتاقِ

واقـرَ عني السلامَ أهـل المصلّى

فـبلاغُ الـسلامِ بعض التلاقي

وإذا ما مـررتَ بالـخيفِ فاشهدْ

أنَّ قلـبي إلـيه بالأشـواقِ

وإذا ما سئلت عني فقل نضـو

هـوىً ما أظنه اليوم باقِ

ضاع قلبي فانشده لي بين جمعٍ

ومنىً عند بعض تلك الحداقِ

وابكِ عنّي فطالما كنتُ من

قبل أُعيرُ الدموع للعشاقِ

***

وقفة تأملية أمام هذه السيمفونية لنصغي لهذا اللحن المتموج الذي يفيض بالسحر. قرأتُ هذه القطعة قبل أيام فهاجت بيَ الذكرى إلى أيام اليفاعة أو على أبواب الشباب، أيّ الدورين لا أحددهما بالتعيين، ولكنها لا تنمحي من خاطري ذكرياتٌ حينما قرأتُ هذه السيمفونية وتعرفتُ على هذا النظار أو هذا الكنز الفكري الذي هو ذخيرة من ذخائر الفكر العربي الذي لا يوجد إلا على ندرة.

تذكرتُ تلك الأيام، وما أعذب تلك الأيام كثيراً، ما أحنُّ إليها وأحنُّ إلى ذلك الظلّ السجساج، ظلّ أبي الذي يمتدُ عليَّ ويتدفق كالنهر حناناً ورحمة، ذكرت تلك الأيام وذكرت هذه القطعة وأبي يرددها؛ لأنه كان معجباً بالشريف الرضي ويزيد إعجابه بحجازياته.

وبعد فترة حينما زرع أبي في حياتيَ الأدبية فكر الشريف الرضي الذي تمثَّلَ في شعره ومؤلفاته، ولا أعلم هل هي الصدفة أم التتبع

الفكري الذي ساقني إلى أن أطّلع على عبقرية الشريف، كتاب الدكتور زكي مبارك، وكنت لا أملك ذلك الكتاب في ذلك الوقت، إنما استعرته من أحد الأصدقاء لأقرأه في ليالٍ نقطعُ بها السهرة الفكرية؛ لأنّ حياتنا في ذلك الظرف كانت حياة جادة ليس فيها فراغ إنما هي قطعة من علمٍ وأدب.

وتعود بي الذكرى لأقف على هذه السيمفونية وإعجاب الدكاترة زكي مبارك، وقد سمّيته بهذا الاسم حيث يهواه. كان زكي مبارك معجباً بشاعرية الشريف الرضي ويفضله على جميع الشعراء حتى يراه أشعر من المتنبي، وهذا الرأي لا أريد أن أدخل معه في نقاش أو في تأييد أو تحسين أو تقبيحٍ، فالرأي حرٌّ وله رأيه؛ لأنه رائدٌ من رواد الفكر العربي الذين أسهموا وأثروا لغتنا العربية وتركوا لنا ثروة ضخمة شغلت حيزاً من الفكر العربي وسدت فجوة في المكتبة العربية، فزكي مبارك لا يحتاج إلى تعريف، فكتبه تشهد له، كالنثر الفني وكتاب التصوف، ومدامع العشاق، وعبقرية الشريف.. إلخ.

والذكرى هي أصداءٌ تتردد في حياة الإنسان كلّما حنَّ لماضيه، أتصور تلك الأيام كأنها شريطٌ تمثلت أمام عيني وأعادت لي الأمس.. الأمس البعيد ماثلاً في جميع صوره في حياتي، في بيتي بالقلعة حاضرة القطيف أمس، ونحن نقرأ على سراج يسمى (اللالة) وقد شرحتُ هذه الأسرجة في كتابي خيوط من الشمس.

لا يوجد لدينا مصابيح كهربائية تخطف الأبصار، ولا هاتفٌ يهتف بنا، إنما نعيش في حياةٍ دامسة، ولكننا نستصبح بأشباح تلك الظلمة وبنور

العلم، فهو السراج المضيء لنا في ذلك الليل المبطن بضبابه. عادت لي الذكرى وأنا أقرأ هذه القطعة بعد أن حفظت منها أبياتاً من أبي وأتصور صورها، وإذا بي أقرؤها في عبقرية الشريف وأشاهد الدكتور زكي مبارك أو الدكاترة كما يحلو له؛ لنرى إعجابه ودراسته لتحليل شعر الشريف الرضي.

وعندما وقفتُ على هذه القطعة وهو يخاطب الشريف الرضي من وراء حجب الغيب، وهو يحلل هذه القطعة ويهتف به أن يسمع هذا اللحن ينساب من حنجرة أم كلثوم، أنا لا يزيدني الشعر جمالاً أو إعجاباً إذا غنّى به المغنّون، إنما الشعر في ذاته شعرٌ إذا أحسستَ من ذلك اللحن هزةً في جسمك وسرياناً في كيانك كما يسري التيار تيار الحب في القلب. وقد يزيد لحن الغناء جمالاً الشعر الذي هو يترجم الموسيقى قبل أن تتكلم وقبل أن تنطق لتترجم تلك الكلمات وهذا هو الشِّعر.

كان زكي مبارك موفقاً عندما وقف عند هذه القطعة ليحللها؛ لأنه لوحة فنية جديرةٌ بالدراسة والتحليل والحفظ. وقد أذكرتني هذه اللوحة السيمفونية بذكرى عزيزة عليَّ، ذكرى أيام دراستي عند أبي، التي تغطي الدروس العلمية والأدب والتاريخ، بتعبير موجز: الدراسة الفكرية وأيامها حلوة التي كنتُ فيها فارغاً من مشاكل الحياة وما يبطنها من شقاء وتعب، ذكرى كانت للفكر وللعلم خالصةً لا يشوبها أطيافٌ من حبّ المادة أو من لهفةٍ لميدان التجارة اللاهثة.

ذكرى حبيبةٌ عليَّ، فما أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ، مُرَّةٌ؛ لأنه تأتي إليَّ بحسرات ولا أستطيع على ردّها، وحلوة؛ لأنني أتذوق لذتها وما فيها من

أيام طوّافةٍ بحياتي. تعيدني لمستقبل فكري وحياة علمية، لقد أهجتِني أيتها الذكرى، ولكن أين أنتِ وأين أنا، لقد فصلت بيني وبينك أعوامٌ طويلة انطوت فيها أحباب، وماتت فيها غرسات، فيا للذكرى ولأيامها الحلوة المرّة.

أأنا سعيدٌ بطوافكِ أم لا؟ حزينٌ لمرورك! إنني أشعر بالفرح والحزن في آنٍ واحد، وهذا مما يجتمع فيه النقيضان. ويقول المنطقيون إنه لا يجتمع نقيضان على صعيد واحد، فكيف اجتمع لي هذان النقيضان، إنهما لم يجتمعا على صعيد الوقع الملموس، إنما اجتمعا في أُفق التصور، والتصور واسع الآفاق رحب الفضاء. التصور يجمع الملحوظ ويجمع المعقول ويختلفان في التطبيق على صعيد الواقع!

ألا ترى أننا نتصور في الذهن، كما يقول المنطقيون أولو الفلسفة العقلانية، أنّ لفظة شمس نكرة تطلق في الذهن على كلّ كوكب مضيء ينسخ وجوده حلول الليل، ولكنها خارج الذهن على صعيد الواقع لا يوجد لها إلا مفرداً واحداً، فالذهن أو التصور يخالف الواقع ويباينه مباينة واسعة؛ لأنه يتسع لجميع التخيلات والتصورات، ولكن صعيد الواقع هو واقع لا يتغير.

لقد خرجتُ بك، يا قارئي، عن موضوعي الأدبي، ولكنها الذكرى هي التي أرغمتني أن أبحر بك وأن أبتعد بك عن مرفأٍ كنّا نجدّف سفينتنا لنشاهد أمواج البحر ونحن نتغنى على أمواجه بهذا اللحن المنغم بأنغام الحب، وأنغام السحر، فلنستمع لهذا اللحن وهو يُردّد أسرار الحب الذي لولاه لعشنا على حياة جاحمة وفي آتونٍ نحترق فيه ونتحول إلى هشيم

تذره الرياح. أسمع هذا اللحن أو ذاك النغم المتموج كيف صور الشاعر الكبير رسالته التي حمَّلها رسوله في لهفةِ شوقٍ.

أيّها الرائح المغذّ في السير، إني أحمّلك رسالة ولكنها ليست كالرسالات، إنها رسالة القلب للقلب، رسالة المعذّب الذي اكتوى بجاحم الحب وبنيران الأشواق، ويطلب منه أن يقرأهم السلام عنه، ولكنه ليس كالسلام، إنه سلام العيون والقلب، للعيون والقلوب، ويصور فيه سرًّا غرامياً.

تصور معي إنَّ سلامه جزء من بعض اللقاء، إنه لتصوير فيه روعة، ثم يشير إلى رسوله عندما تصل لحبيبتي وتبلغها رسالتي الغرامية الشوقية فقرأها في حروف روحية سماوية تجسّد قلبي وما عليه من هوىً ووجدٍ كاد يتلفني لتجسّد هذا المشهد وتشاهده وتصور قلبي الذي فيه شوق ظامئ إلى اللقاء، وإذا ما سألت عنّي فإني نضو هوًى يلفظ أنفاس الحياة، لا أتصوره باقياً لهذا اليوم.

ثم يضرب الشاعر الكبير إغراباً ما بعده إغراب، فينشد عن قلبه الضائع، وهل يضيع القلب كما يضيع قدح الغبوق، ولكنَّ قلبه ضاع، وفي أين ضياعه.. ضاع بين منًى تعثرت وماتت مشبوبة على مذبح الغرام، وبين الأحداق.. الأحداق التي يشع منه السّحر فتأسر الأبطال بلا حدود، تسمر القلوب وتعطل حركة القلب وكامل الجسم.

ويلجأ الشاعر إلى تصوير غريب يبعد فيه كلّ البعد يطلب من خليله أن يبكي عنه؛ لأنّ عيونه يبست وجفت ينابيع دموعها، فهي حسيرة لا تجود بالدموع، ولا ينسى مساواته بالعشاق، فالشاعر كان يعير الدموع

للعشاق عندما تجفّ دموعهم، وهل الدموع تعار؟ فكيف تتصور معي هذا البذل والعطاء الذي سخا به الشريف؟!

إنّ هذا سرٌّ من أسرار الابتكار في الشعر العربي، فقد حلّق الشريف في هذه القطعة السيمفونية إلى أبعد التحليق، إنك تقرؤها وكأنك تقرأ لوحةً فنية رسمتها ريشة العصر الجديد. ريشة القرن الحادي والعشرين، فهي غضّة برغم ما مرَّ عليها من قرونٍ وقرون، فالشعر إذا كان شعراً لا يموت ويتطور ويتجدد كما يتجدد الصباح، ويعيش مع دورة الفلك في صعود الحياة وجدّتها، فالشعر خالدٌ لا يموت.

30 /11/ 1425هـ

11 /01/ 2005م





العيد

نشرت في مجلة الواحة، العدد السابع والثلاثون، السنة الحادية عشرة، الربع الثاني عام 2005م.

عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ

بِما مضى أَمْ بأمرٍ فيكَ تجديدُ

كان لهذا البيت أصداءٌ تتردّد في آفاق نفسي يوم أطلت شمس يوم عيد الأضحى المبارك وأشرق ببهجته على سماء الدنيا، وكانت شمسه تسكب الضوء مذاباً كالعسجد على رؤوس النخيل وعرائس الأشجار، إنه يوم عظيم فيه التضحيات وأعمال الخير ما يفتح الطريق للمؤمن الموحّد إلى جنة الخلد، إلى رضاء ربه سبحانه وتعالى.

لكنّ أصداء هذا البيت الذي افتتحتُ به حديثي كان له وقعٌ وجرْسٌ حزين يتردد ويملأ آفاق بيتي، وكلّما رددته تمثَّل لي ما أعانيه من فراغٍ مشجٍ لغياب الزوج الحنون حيث لم يمرّ عيدٌ إلا وهي تدير مراسيم ذلك

العيد وما يترتب عليه من استقبال الضيوف وإعداد المأدبة الكبيرة التي تجمع شريحة من الأهل والأصدقاء والإخوان، وهذه المائدة المباركة بدأت بعد رحيل والدي الإمام الخنيزي بعد عامين أو ثلاثة أعوام، إلا أنها كانت تقتصر في حلقة ضيقة، وكلّما أنعم الله عليَّ أخذت تمتد وتتسع تلك الحلقة حتى صارت إلى ما عليها اليوم.

غير أنّ ذلك الأسى الذي يعسر قلبي في كأسٍ مملوءةٍ بالدمع، وأهتف بإيحاء صوت، فأخذتُ أفتش عنكِ وعما ألفته من مقعدكِ الذي تأخذينه في ذلك اليوم في مطبخنا السعيد الذي سعد بوجودك، فأجد ذلك المقعد خالياً فأظلّ أفتش في البيت وفي زواياه، وأهتف بك فيرد عليَّ صدى صوتكِ، إنني لستُ معكم، أنا على السرير الأبيض أغرق في آلامٍ لا أحسّ ببهجتكم أو بعيدكم.

لقد تراكمت على جسميَ الآلام والجروح، فأنا كسفينة أو كزورق صغير يعوم في تيارات الآلام، أين أنا الآن، وأين أنتم تستقبلون العيد دنيا بهجةٍ وسرور، وأنا أستقبل العيد في دنيا ألمٍ ممضٍّ وبلوى تراكمت على جسمي الضعيف ولا ينفس عن كربي إلا خالقي. لقد عجز الطب الحديث، ولكنَّ ربي وخالقي هو القادر ليضرب للطب معجزةً تُنسيه غروره، أنا هنا أرقد على السرير الأبيض في ذلك المصح مع الذين قست عليهم الحياة وأنستهم كلّ حلوٍ ومرّ.

لقد غبت عنكم في هذا العيد بالرغم لا بالرضا، وكلّ ما أطلبه منكم ألّا تنسوا هذا السقيم وتهمّشوه من ذاكرتكم. إنَّ المريض إذا طال به المرض قد يملّهُ أهله وطبيبه.

وما أصدق قول الشاعر العملاق المتنبي:

ألحَّ عليَّ السقمُ حتى أَلِفتهُ
وملَّ طبيبي جانبي والعوائدُ

هذه كرسالةٍ في يوم العيد أبعثها من قلبي إلى زوجي الحنون، إلى أولادي، حيث أول عيد لم أشاهدهم ولم يشاهدوني، وأنا أعدّ لهم مراسيم العيد وما يحتاجونه، وأهيئ المأدبة الضخمة التي أَلِفناها في كلّ عيد.

لقد وصلت رسالتكِ أيتها الزوج الحنون، وكان لها أنغامٌ حزينة تضجُّ في قلوبنا فتملأ أجواءنا بالشوق والحزن. الشوق لبعادكِ، والحزن لما ألمَّ بكِ من كربٍ مؤلمٍ. لقد نظرتكِ وأنتِ على سريركِ الأبيض فهالني ذلك المشهد فلم أتمالك إلَّا أن أسكب القلب دموعاً، فأنتِ حياتي تتجسّد في قلبي لا يغيب مشهدها عن عيني، وأراكِ في كلّ زاوية من بيتي تتمثلين في ذهابكِ وإيابك وفي نومكِ ويقظتكِ، وفي كلّ حركة من حركات حياتي وسكناتها أفتش عنكِ جميع زوايا بيتي وسمائه وأرضه فلا أراكِ!

وفجأةً تنتقل رؤيتي لسريركِ الأبيض ومنظركِ الدامي الذي يجرح قلبي ويبكي الأعين، ماذا أصنع لكِ أيتها الحبيبة، وأنا لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، إنني عاجزٌ لا أستطيع أن أعمل لك شيئاً من ذلك؛ لأنني عبدٌ لله، والعبد لا يملك شيئاً إلا التسليم والرضا بما يفعله مولاه ويقدّره على عبده، ذلك تقدير العزيز الحكيم، وأضرع إلى ربي أن يخلّصكِ من هذه الأزمة وهذه البلية التي ألمت بكِ، إذ لا يقدر على ذلك إلا الذي خلقكِ وخلق كلّ شيء، بيده ملكوت السماوات

والأرض وإليه المرجع وبيده كلّ شيء، فأسأل الله من أعماق قلبي أن يخلصكِ ويعيدكِ إلى بيتكِ ويردكِ إلى سيرتكِ الأولى فهو القادر لا غيره، وهو المحيي وهو المميت.

فنسأله أن يجعل الصلاح في شفائكِ وشفاء كلّ مريضٍ من مرضى المؤمنين والمؤمنات، وسلامٌ لك على رسالتكِ التصويرية، وجوابها من زوجكِ الحنون، والله يقدّر ما يشاء، ويفعل ما يريد.

حبيبتي، إن كانت الحياة لها طعمٌ أو ذوق فهي بالزوج الصالحة المطيعة لزوجها التي هي مثال الزوجية، وأنتِ أنموذجٌ من طرازٍ فذّ تمثل تلك الشريحة المؤمنة فيتضاعف ألمي وأسفي وحسراتي؛ لأنني ما رأيتُ منكِ يوماً من أيام حياتي معكِ أيّ نشوز أو قسوة، بل كنتِ بسمةً تفتحين القلب وتخففين الآلام، وتطلبين رضائي في كلّ حركاتكِ وتحاولين تضميد جراحي وما يلمَّ بها من ويلات الزمان وبلاوي الحياة، تسهرين إذا سهرتُ، وتنامين إذا نمتُ، فأنا كلي لوعة لما أصابكِ وألمَّ بكِ، ولو كنتُ أسطيع عملاً لعملته، ولكني أقف منكِ موقف العاجز لا يملك إلا الدموع والدعاء، فكم سكبتُ دمعي على جراحاتي لعلها تكون بلسماً، ولكنها لم تكن بلسماً؛ لأنّ الجرح ينزّ من القلب، وجراحات القلوب تأسى على الآسي وتعجز كلّ طبيب ولا يقدر عليها إلا خالقها.

حبيبتي، لقد ناجيتُ روحكِ في هدأة الليل وتحدثتُ معها حديث الروح للروح ولكنها عادت إلى جوٍّ قاتمٍ تضببهُ اللوعة والحسرة؛ إنَّ هذه النجوى تمرّ في كلّ لحظة، ولكنَّ هدأة الليل تكون النجاوى فيها أبلغ لمناجاة الأحباب للأحباب، ومناجاة الأرواح للأرواح، فهي تختصر بمسافات وتلتقي على صعيدٍ من الشوق والحبّ ثانية من الثواني.

حبيبتي، هل أراكِ تعودين إلى بيتكِ وتديرينه بحكمتكِ الاقتصادية وتنظيمك الذي هو في دقة الروعة وكمال التنظيم؟ ليس على الله بعسير، فهو يحيي العظام وهي رميم، لم يخالطني اليأس ما دمتِ على قيد الحياة، وكلّ ما أسأله من خالقي ألّا يطول عليكِ هذا الخطب الممضّ، وأن يخلّصكِ منه سريعاً كلمحة الضوء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾

[سورة القمر: آية 50]

وأختم حديثي بهذه الآية الكريمة اختتاماً بتفاؤلي بعودتكِ بمشيئته إلى بيتكِ.

15/12/ 1425هـ

26/ 01/ 2005م





آلة العيش

آلـة العيــش صحةٌ وشــبابٌ

فإذا ولَـــيَّا عـن المرءِ ولـى

وإذا الـشــيخ قــال أُفٍ

فما ملَّ حياةً وإنما الضعف ملَا

صدقت أيها الحكيم، فإنّ الحياة ربيعها الصحة والشباب، فإذا انطويا من صفحات حياة المرء وصار على عتبة الخريف إلى دور الشيخوخة الواهنة صار يتنفس الصّعداء وتتأجج الحسرات إلى وهج جحيمٍ يتلهَّب في حاضر أيامه فيمضغ أيامهُ الماضية ذكرياتٍ يتعلل بها ويتسلى بما في صفحاتها من أيامٍ ماضية حلوةٍ أو مُرَّةٍ، ولكنّه يُميزها ويفضلها على أيامه الحاضرة، وكلما صعَّد الزفرات لا مللاً عن الحياة، فالحياةُ لا تملّ، وإنما ملّ الضعف والوهم، فزفراته تنبعث حسراتٍ على الماضي الذي أعقب ضعفه، فزفراته وآهاته لضعفه

ولشيخوخته الواهنة التي صيّرته يسير على أربع متهاوياً إلى الأرض، وكان يسير على اثنتين قوياً يتطلع للسماء كأنه يريد أن يفتتحها ويعيش بين نجومها تتصور له الكواكب وسادةً كأنها في يديه متى شاء تسلمها، وإن كانت بعيدة كلّ البعد، إلا أنّ الأماني الطامحة في الشباب الفينان تدفعه إلى طموح الآمال وتغريه بالفوز والإقدام على كلّ شيء كمغامر لا يلوي على الصعاب، ولا يفكر في العواقب، كلّ شيء هيّن وهو لا يفكر لكلفةٍ أو جهد.

وعندما ينطوي ذلك الشوط ويطوَّف في آفاق السنين وتتراكم عليه تلك السنون كأوراق من الخطايا عصفت بها رياح الشتاء وأعقبته طيوف الخريف فغطّته تلك السنون فناءت به وتراكم الثلج على رأسه ووجهه وبقيَ يجترّ ذكرى الطفولة، ذكرى المراهقة، ذكرى الشباب الذي هو ربيع الحياة وأوجُ قمتها التي يطلُّ منها على هذه الحياة.

لقد طويَ ذلك الشوط التألقي ولفّت صحائفه في تاريخ الزمن الماضي وضاعت أيامه وراء جدار التاريخ ومشى عليها الخريف فأذبل تلك الزهرات اليانعات فتصفرّ وتتساقط من خلفه ومن أمامه وتوهي قواه، فهو يستقبل الحياة كريشة بيد الرياح أو كسعفة نخل تهتزّ لا تثبت على حال من الحالات.

أهكذا يصير كلّ امرئ إذا طال له العمر إلى هذا الدور. إنَّ الحياة لا تفرق بين إنسان وآخر فهي تبلى كما يبلى الإنسان، وقد تبقى زمناً طويلاً تمور بالأيد والقوة، ولكنني لا أخال أن تستمر؛ لأنَّ سُنة الله لن تبدّل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، جعل الفناء لكلّ شيء، فكلّ شيء

فانٍ ما عدا خالق السماء والأرض، فهو الباقي وهو الأول والآخر بيده ملكوت الدنيا والآخرة وهو على كلّ شيء قدير.

فإذا أنت فتحت كتاب الطبيعة وقرأت في صفحاته حروفاً من أسرار هذا الكون وجدت العجائب ورأيت الغرائب التي إن فكرت بعقلك لا بعاطفتك خضعت مرغماً لهذه الأسرار ودِنتَ بخالقٍ واحدٍ ليس له شريكٌ ولا ظهير، وهو الذي خلق هذا الكون وأوجد فيه الأسرار وسخَّر ما فيه من شمسٍ وقمر وبحرٍ، وكلّ ما في الكون سخَّره تفضلاً منه ونعمةً لهذا الإنسان ليتمتع فيه ويرحل بعد ذلك عن هذه المتعة الفانية إلى متعة الدار الباقية إن كان مطيعاً لله، وإلَّا سيفارق هذه المتعة إلى حياة نعيم أو جحيمٍ.

لا بُدّ لكلّ اجتماعٍ من خليلين فرقة، وكلّ مصيبة تقلّ شأنها وخطرها عن الفراق فإنّ الفراق مُرّ المذاق ولكنه لا بُدّ لكلّ خليلين من هذا الفراق، وسينسى الخليل خليله، طال الزمن أو قَصُر، سيسلوه ويغرق في دنياهُ وكأنه لم يألفه ولم يسمر معه، ولم يعايشه، قد يمرّ طيفه في عين خليله فيذكره ويذكر أيامه الماضية الحلوة المرَّة، هذا إذا كان الخليل من الإخلاء الأوفياء وإلَّا ضاع وضاعت ذكراه عندما غطاهُ التراب فَنَسِيَتْهُ أخلّته وذكراه معاً.

أهكذا الإنسان تنسيه الأيام صديقه أو حبيبه فتبحر عنه هذه الذكريات في تيارات ضخمة لا يُسبر غورها، حتى الغواص الربوت الذي يغطس في قعر البحر لينقذ أجزاءً ثمينة هوت في أعماق ذلك البحر الخضم، ولكن نسيه أو تناسياه لهذه الذكرى؛ لعلّ فيه من الخير

ما يسليه وينسيه أحزانه، ولعلّه من غير الأوفياء لذلك الصديق أو الحبيب فيدفن حياته في غيابة النسيان.

فميزان الحياة يسير على خطين: فخطٌّ جزوعٌ، وخط مؤمنٌ صابرٌ، وخطان يختلفان، فخطٌّ يُنسي كلّ النسيان ويهمل كلّ الإهمال وكأنه لم يمر بهذا الحبيب ولم يعايشه ردحاً من الزمن، وخطٌّ بينَ بين، لم يهمل ذلك الحبيب ويتركه في حجرة النسيان وإنما يلمّ به إلمامة الجزع كما قال الشاعر الطغرائي.

هكذا الحياة تمرّ بمنعطفاتٍ ودروبٍ معاكسة، فيمرّ بها المرءُ أو تمرّ به، وليس له خيارٌ فيما يحدث عليه من مصائب أو بلايا ستمر به ويمر بها رضيَ أم سخط، والمرءُ العاقل المؤمن هو الذي يمرّ بها بصبرٍ وإيمانٍ وتفويضٍ للذي هو القادر على إزالتها لا غيره، أما المرءُ الخاسر فهو الذي يمرّ بها وهو ساخط، ولن يفيده سخطه ولا يبدّل له شيئاً من تلك الأحداث. ستمرّ الأحداث عليه كما يمرّ الليل والنهار حتى يشاء الله وليس له فيها يدان أو إيجابٌ أو سلب، فمن الخير له أن يصبر صبر الشاكرين حتى يثاب ويتحصل على الأجر والرضوان من الله.

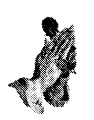
هذه الحروف أو هذا الحديث انبعث من آفاق نفسي كخاطرة من الخواطر لم أعد لها ولم تدرْ في مخيّلتي أو على صعيد تفكيري، إنما كنت أردد بيتَيْ الشاعر الحكيم المتنبي فوّلدا في أفق نفسي هذه الخاطرة لأسجلها وأذيعها حديثاً، ولا أعرف، هل يرضى عنه الجمهور أم يسخط عليها، ولكنني رسمتها على الورق وأذعتها كحديثٍ لأستريح

ويهدأ ما جاش في نفسي من طيوف وهواجس، وذكريات طبعتها على هذا الورق، ولا أدَّعي الكمال أو العصمة، فلله الكمال.

سائلاً من ربي المدد والتوفيق وأشكره على نعمائه والحمد لله ربّ العالمين.

1425/12/21هـ

2005/ 02/ 01م





مجادلةٌ مع لَقِن

مــا كلّ مــا يتمنى المرءُ يدركه

تجري الرياح بما لا تشــتهي السُّفُنُ

كان لهذا البيت حوارٌ بيني وبين شخصٍ يدَّعي اللقانة في الأدب، وهذا البيت للمتنبي، والمتنبي شاغل الناس، ومالئ الدنيا حسبما عبّر عنه بعض الأساتذة والأدباء، والحوار في عجز هذا البيت حيث أراد هذا المتطفل علـى الأدب حسب رأيه قـراءة هذا البيت حيث قال: إنّ صحة عجزه (تجري الرياح بما لا تشتهي السَّفَنُ)، قلتُ له يا أيّها الأخ الكريم، هل تعرف السَّفَنَ من السُّفُنِ؟

فهاج وزمجر وقذفني بقنابل من كلماته التي لا يليق ذكرها في هذه الصفحات، وقلت له: اهدأ واسكن كما تسكن العاصفة التي تنفخ في القصب، والقصب لا يشعر ولا يحسّ بما تصفرُ الريح فيه.

إنني سأشرح لك ما معنى السَّفُن والسُّفُن، فإنّ السفينة فواضحةٌ،

وهي مركب البحر، وقد عبّر عنها القرآن الكريم بسفينة نوح وسفينة المساكين التي كان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً.

وأما السَّفَنُ فهو قبطان السفينة، أي ربُّ السفينة، فهل وضحت لك هذه الصورة من هذا الشرح المقتضب.

ولكنني فوجئت بما لا يحمد عقباه، فما شعرت إلا من هذا الطائش بزمجرته وشتائمه التي هي كحمم انبعثت تحملُ في ألفاظها كلّ ما يليق حتى تصورت منه أنه يحترق في ثيابه ويريد البطش بمن أمام عينيه، ولكنني ثبتُّ أمامه بصدر أرحب من الفضاء، وبثغرٍ يتبسم كما يبتسمُ الفجر بعد الليل، وبدأتهُ بكلمات ناعمة تحمل العطف عليه والحنان، ولكنني هتفتُ بمريضٍ قد تحكم المرض في عقله لم يستمع لي، وأخذ يصرخ: لا يصحُ أن تقرأ هذا البيت (تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفُنُ)؛ لأنها هي السَّفَنُ، وحتى لو قالها الشاعر نفسه لا أقيم له وزناً؛ لأنني أديبٌ أعرف منك ومن الشاعر.

فهنا عرفتُ أنّ مخاطبي جاهلٌ ويجهل أنه جاهل فهذا هو الجهل المركب الذي يصعبُ علاجه على كلّ نطاسيٍ حاذق. إنّ علماء النفس تقف حائرةً عندما تصطدم بنفوس كهذه النفوس. هل هناك في كتاب الأخلاق جرعة من جرعات الأخلاق نحولها إلى وصفةٍ من الوصفات فنعالج بها نفوس الجُهَّال وأقصد به الجهل المركب الذي إذا تغلغل في النفس أظهر الجاهل من نفسه عظمة وغروراً لا يراها الآخرون له، وبرغم ذا وذاك أخذتُ أُبسِّطُ له وأشرح له الفرق بين السَّفَنُ والسُّفُنُ، غير أنه لم يتقبل مني وأصرَّ وعاد إلى هيجانه وغليانه على غير بصيرة

من هدىً يميز به الفحم من الجوهر، وترك المكان وهو هائج وخرج وهو يصرخ كما تصرخ الأطفال.

ولعلّ هذا الحوار، إن صحّ تسميته بالحوار؛ لأنه حوار من جهة واحدة، وزعمٌ وادِّعاء من جهة أخرى، أدعو له ولأمثاله بالهداية والغفران والرحمة إنه غفور رحيم.

ولعلّ من الخير أن نعود إلى هذا البيت لهذا الشاعر العملاق الذي درس كلّ خلجة من خلجات الإنسان فسجلها في خاطرة من بنات أفكاره خالدة في هذه الحياة من يوم قولته إلى يومنا هذا وإلى ما يشاء الله.

إنّ البلاغة في قراءة هذا البيت بما لا تشتهي السُّفُنُ؛ لأنّ الرياح هي التي تقف وتعاكس السفينة لا ربانها، وقد خلق لها شاعرها إحساساً تحس بمعاكستها وبعدمه، وهذه نكتة من نكت البلاغة التي لا يصل لها إلا من أوتيَ دقة في علم البلاغة والمعاني والبيان، أما ربُّ السفينة فهو يشعر ويحسّ ولديه عقل، فالرياح لا تعاكسه بل تعاكس سفينته، وبالأجدر أن تكون معاكسة السفينة تنعكس على ربانها فيظلّ في مأزقٍ حرج لا يستطيع الدفاع عن سفينته أو ردّها إلى مسارها الطبيعي فهو يعالج إلى سفينته لتخفيض القلاع وتعديله إلى جهة الرياح لعله يستطيع إنقاذها.

ودليل آخر، لو كان الشاعر يريد قبطان السفينة وهو السَّفنُ لقال تجري الرياح بما لا يشتهي السَّفنُ، والبيت يكسر عظمه وغير مستقيم الوزن.

وبعد هذا الشرح المقتضب يتبيّن لك أيها الرجل أنّ المتنبي يعي ما

يقول حيث عبّر هذا التعبير البياني الذي فيه النكتة البلاغية والمعنى البليغ. كما أنها مرسومة في ديوانه بالسُّفُنُ لا السُّفَنُ، وهذه الرسمة من تتبع بعض الشّراح الذين عاصروه وسمعوا هذه الكلمات قد ندَّت من شفته.

1426/4/21هـ

2005/5/29م





وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

أخذتُ أُردد مقولة هذا الشاعر:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَم

لم يكن ترديدي لهذا البيت اعتباطاً أو لإعجابي بهذا التعبير الواقعي أو لأنه يصور مصداقاً ينطبق على كلّ من حرمته الحياة نعمة البصر، والبصر أثمن كنز في الحياة؛ لأنه ينعكس على بلورتها، أي عدستها، ما يدور في هذه الحياة من صور جميلة أو قبيحة، وإنّ هذه الباصرة التي تعكس للإنسان ما يدور حوله ويقرأ بها أسرار النفوس وما يُرسم على خطوط تلك الوجوه من خيرٍ أو شرٍّ وتسبرُ بها ما في قرارة القلوب من حبٍّ أو بغض تقرؤه حرفاً يحارُ في العيون ويتجسد سطراً على مخيلات الوجوه.

إنّ هذه الباصرة لها دور في الحياة دقيق فيها يعرف المرء أصدقاءه

وأعداءه وما يكنّه له حضّاره من مجلسه من سخرية أو تقدير أو انتقاص أو جدٍّ أو هزل أو تآمر عليه بإشارات العيون، فإنّ إشارات العيون هي لغةٌ لا تفهمها إلا العيون.

كنتُ أُردّده وفي أعماقي إحساس وهواجس تتجمع ثم تتفرق أطيافاً كأطياف الليل في وحشة رهيبة وصمت مطبق يكاد يخنقني. لم يدُر في مخيلتي خاطرةٌ من هذه الهواجس لتتجمع في حرف باكٍ ينزُّ بألم الهواجس ويسكب الهموم في ذلك الحرف الذي هو تعبير وتجسيد بتلك الهواجس والهموم، غير أنَّ تلك الهواجس لم تتركني ولم تخلِ سبيلي، ولم تفسح لي المجال لأسير بحريةٍ، أنطلق فيها في أجوائي الفكرية كما كنتُ بالأمس، كلّما أردتُ التفلُّت من هذه الهواجس قبضت عليَّ قبضة حديدية لا أكادُ أفلتُ منها.

كان لهذه الهواجس دورٌ عميق تغلغل في أعماق نفسي تتبعني في يقظتي وفي نومي، وفي سيري ووقوفي، وفي كلّ حركة من حركاتي أو سكناتي، ولكنني استقبلتها بصبر أمرَّ من الصبر، وبصدر أرحب من الفضاء.

إنني بشرٌ كمثل البشر يحزن للهموم ويشقى للشقاء ويفيض دموعاً عندما يلمُّ به ترحٌ من الأتراح، ويفرح عندما يغمره فجرُ حلمٍ سعيد ينشر عليه بسمة يشرق لها قلبه وثغره.

هكذا البشر في فصول حياته، وصفحات أيامه تزعزعه العواصف وتميله الريح وتجذبه الشهوات إلا من عصمه الله، وفتح قلبه للإيمان وأجرعه جرعة من وصفات التعاليم الإسلامية وآياته القرآنية، والسنة

المحمدية (صلى الله على مؤسسها وآله، ومرشدها ومبينها والمرشد لتعاليمها) فالإيمان كنزٌ لا يفنى، وذخرٌ لا يبلى ولا يعادله شيءٌ في الحياة، ورصيدٌ ضخم لليوم الآخر الباقي.

لجأتُ إلى كتاب الله فقرأتُ بيني وبين نفسي من آياته الكريمة التي تفتح للإنسان آفاقاً من الصبر والأنات، وهذه الثروة الضخمة لا يعرفها إلا من آمن بالله ورسوله، وصدَّق بكتبه وملائكته ورُسُله واليوم الآخر.

إنَّ هذه الثروة الضخمة فتحٌ مبين في حياة المسلم، كلّما حزبته مصيبة أو مرت به كارثة أو مرَّ بهما فهو الدواء الناجع لجروحه التي لا دواء لها في غير صيدلية الإسلام، وهذا الفرق بين المسلم وغير المسلم؛ ولذلك كثر الانتحار في غير المسلمين؛ لأنَّ الحياة تضيق عليهم فلا يجدون جوًّا يتنفسون فيه فيضيق بذلك البلاء فينحر نفسه بدون هدىً وتفكير.

هذه الهاجسةُ التي علقت بحياتي ولم تكن هاجسة واحدة، إنما تكررت تلك الهواجس في أفق حياتي وتضببت في سمائي منذ عالم الطفولة منذ الهاجسة الأولى حتى الهاجسة الأخيرة التي أعاني منها اليوم، ومن مثيلاتها ولولا الصبر فإنه هو مفتاح السعادة والتسليم والتفويض إلى خالق السماوات والأرض هو طريق النجاة، وهو الجسر الذي ينجي المرء في حياته، ويعبر عليه من دنياه الفانية إلى الدنيا الباقية إلى جنة الخلد إلى الفوز العظيم.

وإن لم يصبر ويفوّض أمره إلى خالقه فإنّ البلاء سيأخذ منه ما يأخذ،

ولا دافع ولا مانع إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وهو على كلّ شيءٍ قدير، ولا بُدّ لهذه الحركة الهاجسية من سكون، إما سكون عزاء أو سكون لغوب، لا مفرّ من هاتينِ الظاهرتين ولا ثالث لهما، ولأختم حديثي خاتمةٍ هي كالمسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأفوض أمري إلى الله إنَّ الله بصيرٌ بالعباد.

28 /1426/04هـ

05 / 06/ 2005م





الخطي وأثره في الفكر القطيفي

نشرت في مجلة الواحة، العدد الثالث والخمسون، السنة الخامسة عشرة 2009م.

كثيرون الذين يمرّون بهذه الحياة مرور الخيال في جفن نائمٍ فينتبه فلا يرى لذلك الخيال أثراً إنما هو خيالٌ مرَّ بعينه كحلم، كلما رام أن يقبض عليه لم يجده، إلا أنه فرَّ من جفنه بدون إياب، وهؤلاء لا يُحَسُّ بوجودهم أو انتهاء حياتهم إنما يعيشون كما تعيش الأنعام أو السائمة التي لا يهمها إلا إرضاء معدتها، تعيش لتأكل ثم تموت فينطوي وجودها من هذه الحياة كأنها لم تمر بهذا الوجود.

أما العبقري فهو الذي يترك بصمة من بصماته على تاريخ أمته أو وطنه، تبقى تلك البصمة بعد رحيله من هذه الدنيا الفانية إلى الدنيا الباقية تشير إلى فكره وعبقريته التي أثرت في تاريخ أمته وأنجزت من ذلك الفكر النيِّر أفكاراً تنير تلك العتمة إلى الأجيال القادمة.

ما كان في خاطرتي أن أدير هذا الحرف على بصمةٍ من بصمات عبقريٍّ من عباقرة التاريخ، ولكنها الخاطرة التي زارتني على غير قصدٍ وألحت عليَّ كلّ الإلحاح أن تكتب عن هذا العبقري فانصرفتُ عنها كلّ الانصراف؛ ولم أستجب لها، ولكنها لا تزال تلحُّ عليَّ وتهتف بي: لا تكن من غير الأوفياء، وبعد فعالية وعراك وتردد خضعت لهذه الخاطرة فاستجبتُ لهمسها ولبّيتُ هتافها.

إنَّ ذلك العبقري هو الشيخ عبد الحميد ابن الإمام الشيخ علي بن حسن الخنيزي، وسبق لي أن كتبت عنه في خيوطٍ من الشمس، وفي الشعر ودوره في الحياة، ومقدمة في كتاب الخطي في نظر العلماء والمثقفين، وهو على قيد الحياة، وأكملته بلمحة بعد موته نشرت في كتاب الشعر ودوره في الحياة.

كما كتبتُ عنه حديثاً بمناسبة طبع آثاره أذعته ونشر في كتاب أضواء من النقد في الأدب العربي، وهذه الخاطرة لم أشر فيها وحديثها عن الخطي الخنيزي كشاعر أو أديب أو عالم أو زعيم أو مصلح خدم وطنه وسهر لياليه في سبيل دينه ووطنه. لم تكن هذه الخاطرة لتتحدث عن هذه المضامين، فقد سبق الحديث عن تلك الأفكار وأذيعت مني في عدة مقالات، ولكنَّ هذه الخاطرة تتحدث عن ظاهرة فكرية لم أُشر إليها ولم أُذعها في حديث من أحاديثي عنه، وبَقَيَتْ في ذاكرتي، وأريد اليوم أن أذيعها، وأفرغها من ذاكرتي إلى ذاكرة التاريخ.

فإنّ هذه الذاكرة هي التي تصون الأفكار وتحفظها من الضياع، وقد يقسو الزمن فيعدو على ذاكرة التاريخ فيمحيها من هذا الوجود، ولكننا

برغم ذلك نحاول أن نبقى بعد رحيلنا في آثارنا الفكرية، وإن كان كما قال الشاعر العملاق المتنبي:

تتخلفُ الآثارُ عــن أصحابهــا حيناً

فيدرُكهــا الفــناء فتتبــعُ

لا خلود ولا بقاء إلا للخالق الذي تزول السماوات والأرض وهو باقٍ حيٌّ لا يموت، ولكنَّ الإنسان يحاول أن يترك بصماته بعد رحيله على متون التاريخ وحواشيه فيسجل صوته في شريط سينمائي يمثل ذاته ليشاهده النظَّار كأنه يتحرك على قلب الحياة، ويترك صورة له شمسية تحاط بإطار تمثله يتزود منها أهله، وبهذه التصورات كأنه بين أهله لم يرحل، وبرغم ذلك فإنه رحل كما يرحل طيف الغروب عندما تودِّع الشمس هذه الحياة كأنها تشير إلى البَشَر من وراء هذا الطيف، إنكم راحلون، إننا نشاهد في كلّ غروب عِبرة فهل من معتبر.

لقد خرجت بك يا قارئي عن بحثي، أو بالأحرى عن الخاطرة التي كان هذا البحث وليداً لها، والخاطرة التي رسمت عنوانها الخطي وأثره في الفكر القطيفي، وقبل أن أُذيع حديثي عن هذا الفكر وما له من أثر وهي الظاهرة الفكرية التي لم أتحدث عنها ولم يتحدث عنها أديب من قبل.

فقد كان الخطي ناقداً أديباً له مبضعٌ يعالج به الجراحات الفكرية كما يعالج الطبيب الجراحات الجسمية، ولم يختصر هذا المبضع على الفكر القطيفي، بل تعدّى إلى خارج وطنه وأجرى هذا المبضع حينما

كان في هجرته لدراسته العلمية في النجف الأشرف حيث حدثني أنّ هناك في هجرته ثلة من المفكرين والأدباء اتصلوا به اتصالاً روحياً فيعرضون عليه أفكارهم كما يعرض التلميذ على أستاذه ويترك له رويته في ذلك الأثر المقدم له فيجري مبضعه الفكري في إصلاحه، وحتى يبلغ ذلك الإصلاح في ذلك الفكر إلى درجة يهدمه وينشئه من جديد أو يرممه.

فالناقد الصيرفي يعرف كيف يهدم وينشئ ويبني، وأكثر ما يكون في القصيدة الشعرية، وسمّى لي أُناساً بعينهم، ويرسم لآثارهم أسماءً لكتبه وقصائدهم، حتى لتصبح القصيدة لا يصح نسبتها لشاعرها، وكنت أناقشه في هذه الظاهرة حتى احتدم بيني وبينه النقاش لرؤيتي، وقلت له إنَّ هذا الأثر لا يصح لذلك الشخص إنما هو بنت أفكارك.

ولم يقصر الأستاذ الخطي مبضعه على الآثار النجفية فحينما عاد من هجرته العلمية إلى وطنه القطيف بعد رحيل والده الإمام الخنيزي وهمود الحركة العلمية والأدبية كانت عودته حافزاً للحركة الأدبية فنفخ فيها من روحه، وحمل مبضعه على سيرته النجفية يعمله في الآثار القطيفية شعراً ونثراً، وقد شاهدت هذا المبضع يقوم بجراحات فكرية لأدباء أعرفهم بأسمائهم. ولم يقف هذا المبضع على مفكري الأدب والشعر والنثر بل أخذ هذا المبضع يعمل في مؤلفات بعض علماء معاصريه القطفين، ويضع لكتبهم أسماء، ولكنني لا أذيع تلك الأسماء حيث شاهدت العملية الجراحية أمام عيني، وتسميته لبعض مؤلفاتهم.

وهنا أعدتُ النقاش مرة أخرى مع أستاذي الخطي من رؤيتي الخاصة

التي ترى أنّ هذا الأثر لا يعود لشاعره أو كاتبه حيث جرد من قالبه السابق إلى قالب جديد لا يمِّتُ له بنسب، وكان اعتراضي على أستاذي أنَّ هذه الطريقة قد تودي بهذا الأديب ولا ينتج إلا ما دام مبضعك يعمل في جراحاته الفكرية وهو يخالفني في هذه الرؤية ويرى أنه تشجيعٌ وأخذٌ بيد هذا الأديب إلى آفاق يدربه فيها على الطيران لعلّه يستطيع أن يحلّق كما يحلّق النسر، فأصبح فكر الخطي ممتزجاً امتزاجاً بأفكار شعرية ونثرية صبغت بطابعه الفكري.

وهو كمدرسةٍ فكرية تخرَّج منها طلابٌ وعاش على مائدتها وستبقى هذه المائدة تعيش عليها أجيالٌ في آثاره التي طبعت (كاللحن الحزين ووحي الثلاثين والرباعيات وخاطرات الخطي) وطلابه الذين كرّس حياته في تدريسهم وإرشادهم وفتح الطرق الفكرية لهم، ولكنَّ بلادي لا تحفل بمفكريها وعلمائها وأدبائها بل تقبر شموسها، وقد ناديت وهتفت في نداءات ضوئية وهتافات روحية أن نستيقظ من هذه الغفوة فنشيد بمجد بلادنا ودور مفكرينا، ونفيق من هذا السبات الطويل الذي أضاع تاريخنا القديم ولا نجد في زوايا التاريخ إلا حِلقاً ضئيلة.

أنا لا أنكر أنَّ هناك ثلة من مفكري الجدد عنوا بالفكر السعودي ككل، كما أنّ شريحة من مفكري القطيف استيقظت وكتبت عن تاريخ القطيف وإن كانت على ندرة، ولم تصل إلى الأبحاث الدراسية التي تصور المفكر القطيفي؛ وتجسده وكأنه ماثلٌ أمام النظّار يقرؤونه عقلاً ناطقاً، وبرغم هذا وذاك، فإنني أشكر هذه الشريحة وأطلب لهم التوفيق من الله في جهودهم، كثر الله أمثالهم ووفقهم لخدمة فكر وطنهم والإشادة به.

وأرجو من الله أن يكثِّر من هذه الشريحة الخيرة، لتقوم بدراسة ما جدَّ من تاريخ بلادنا بدون عواطف أو ميول.

وأسأل الله لي ولجميع العاملين المخلصين التوفيق لما يحبّه ويرضاه.

27/05/ 1426هـ

04/ 06 / 2005م





نظرةٌ تأملية

في أُمسيةٍ من الأمسيات الحالمة التي تتفتح سعاتها لمطالعات الشِّعر فهي ساعاتٌ شِّعرية إن صدق عليها هذا التعبير، فهي تُقضى في قراءة الشِّعر فيصبح هذا التعبير ساعاتٌ في الشِّعر، والشعر مشتقٌ من شعور الإنسان، فالشِّعر يمثلُ خلجات الإنسان وأفراحه وأتراحه، كما يخفف من جراحات الليالي والأيام، ونسيان لكلّ تعب وتفكير يتنفس في جوّه فيهدأ ما به.

هذه التوطئة كتبتها لخاطرة مرّت بآفاق نفسي وأنا أقرأ ديوان الشاعر العملاق صاحب الحكمة والأمثال المتنبي (أبي محسَّد) الذي تفننت فيه الشراح وتنافس فيه الأدباء وفتنت به النقاد، وهذه الخاطرة التي أشرت لها أضاءت لي معنىً يخالف شراح ديوان المتنبي، فكنت أقرأ قصيدته:

صَحِبَ النَّاسُ قَبلَنـا ذَا الزَّمانا
وَعَـنَاهُمْ مِـنْ شَـأنِهِ ما عَـنَانا

واستمريتُ في قرأتها، وما عليها من شروح حتى وصلتُ إلى بيت من أبياتها:

كُلَّمَا أَنْبَـتَ الـزمانُ قـناةً
رَكَّـبَ الـمرءُ فـي القناةِ سنانا

وتعليقي أو بالأحرى مخالفتي لشراح ديوان المتنبي في هذا البيت حيث كان شرحهم بالنص وبالحرف الواحد كما يلي: القناة: عود الرماح والسنان، زجه الذي يطعن به. يقول: إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة العادي مدداً لقصده نحوك، فجعل "القناة" مثلاً لما في طبع الزمان، وجعل "السنان" مثلاً للعداوة. وعبارة ابن جني ونقلها الخطيب التبريزي: الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأيّ شيء تصلح فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلاً إلى هلاك النفوس، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به (ص 371، 372) من المجلد الثاني الجزء الرابع، شرح الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي، طبع دار الكتاب العربي لبنان.

ومفهومِ هذا البيت لديَّ مغاير لمفهوم هذا الشرح التاريخي الذي مرّ عليه ردحٌ من الزمن، ولعلّ الزمن يفسّر لنا بعض الغوامض. والذي أقرؤه من وراء هذه الصورة التي يؤلف منها هذا البيت حسبما أخذ

فهمي من هذه الأحرف التي تترجم ما وراء الكلمات من معانٍ.

إنَّ الإنسان في هذه الحياة يتجدد، ويتطور مع الحياة فهو يواكبها في سيرها المغذّ الطويل، فالمثل "الاختراع وليد الحاجة"، والشاعر يشير إلى هذه الصورة وهذا المثل الذي لا يزال يواكب الإنسان في تطوره العلمي والفكري، فكلما مرّ الزمن بمتطلباته وإحساسه المُلِحّ بقضايا المرء التي يعيش بها ويرفّه عن نفسه في هذه الحياة الفانية.

فعندما ينبت الزمان حاجة ملحّة يحتاجها المرء يخترع لها الإنسان ما يسدّ تلك الفجوة، ويستغني بها عن ذلك النقص. وبشرح أوضح: كلما أنبت الزمان فراغاً ملأ ذلك الفراغ فكر الإنسان بجهاز يخترعه، وكلّما تولَّد في الزمن نقص في حاجة البشر أكمل الإنسان ذلك النقص من تفكيره واختراعاته فيضيف له ما يسدّ به حاجة الإنسان من سلم أو حرب أو راحة أو شقاء، تأمل معي:

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزمانُ قناةً

رَكَّبَ المرءُ في القناةِ سنانا

أي إنّ الزمن ينبتُ الفجوات أو الشجر التي منها يُركِّب المرء ما يستعين به على تغطية حاجاته في هذه الدنيا.

هذا ما وصل إليه فهمي من هذه القراءة ومفهوم هذه المقولة في هذا البيت المشار إليه، ولا أدَّعي أنني أصبتُ دنيا الواقع ولكنَّ للمفكر حرية الرأي، وما يلهمه خالقه من هذه النعمة التي تفضل عليه، فميّزه

على سائر المخلوقات الكونية بالعقل، والعقل هو من صنع الله ومن تفضله على هذه البشرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾

1426/6/14هـ

2005/7/20م





ذكريات عذبة

أطلّ علينا من فجوات الزمن، ومن كوى الأشهر شهرٌ لا كالشهور، شهرٌ عظيم تصبّ فيه البركات وألطاف الخالق ورحماته على عبيده. شهر أفضل الشهور وأكرم الشهور، أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. شهرٌ يقرّب العبد إلى مولاه، ويوصله إلى جنة الخلد، ويبعده عن سخط الله وعن نار جهنم إذا قام بأوامر مولاه، ولم يقترف خطايا، وابتعد عن نواهيه. شهرٌ يتمثل فيه رضوان الله فيضاً وألطافاً على عباده، وهذا من رحمته على خلقه، ولكنها احتشدت على مخيلتي الذكريات الحبيبة، ومرت طيوفها تتجسّد أمام عينيَّ، وتتمثل في حياتي كحياة واقعية.

مرت تلك الذكريات الحبيبة تتراقص على عينيَّ وتتزاحم كأسراب من النجوم، أو كالضياء عندما يولد من الفجر وهو يحبو على الأفق، عادت ليَ الذكريات، وعادت أيامها فأين أنتِ يا ذكرى، وأين أنا. أطيافكِ تثير في أعماق نفسي الحسرة واللهفة وتشير إلى ماضٍ حبيب عليَّ ما

زلتُ أتعلق بآفاقه، فمن لا ماضيَ له لا حاضر له. مرت بي تلك الذكرى تتلاحق في سرعة كسرعة الضوء.

ذكرى أبي حين كنتُ طفلاً، وحين يأتي من أبحاثه الإرشادية، والتعليمية فيخلد لاستراحته في غرفته ولكنني لا أراه في سكون وهدوء إنما هي حركةٌ وهو يناجي ربه فأصغي له وهو يقرأ دعاء الافتتاح الذي يحمل تلك المضامين العالية والمقاطع الربانية التي تشعرك كأنك تعيش في جوٍّ روحاني تسبح في أفق لا تكاد أن تسبر غور معانيه، إنما أنت تسبح في أفق من الضوء، وتعيش مع الملأ الأعلى، وحتى يمرّ بهذه الفقرة "وارحم عبدك الجاهل وجد عليه بفضل إحسانك" فكان تفكيري المنبعث من أفق طفولة ضيقة لا تكاد تسبح في هذا الجوّ وتعيش على هذا الصعيد فتنتعش لهذه الفقرة وتفسّرها.

إنَّ أبي يشير إليَّ، ويرمز لطفولتي؛ لأني كنت جاهلاً، ولكنني بعد أن انفتحت آفاقيَ الفكرية استيقظتُ، وأبحرتُ على معانيها العميقة، وإن لم أصل إلى شاطئها، ولكنني ميزتُ ذلك المعنى الجوهري الذي يشير إلى كلّ جاهل من بني الإنسانية عندما يناجي ربه فهو جاهل بكلّ شيء، إذ لا يعلم ما في أسرار النفوس وما في الغد ولا اسرار ما في هذا الدعاء العظيم إلا الخالق المبدع لهذا الكون، وميزتُ تلك المضامين عندما ارتفعت عن دور الطفولة إلى دور الشباب.

إنها ذكرى تمر عليَّ، وكأني أرى أبي قد أخذ مكانه، وأخذ يقرأ هذا الدعاء ودعاء السحر دعاء الجوشن الكبير الذي يوحّد الله ويمجّده ويصفه بصفات لا يعرفها إلا من أنشأ هذا الدعاء وخاتم الأنبياء

وأبناؤه ﷺ، لو تأملت معي وقرأت هذه الثروة، وهذا الكنز لبُهتَ، وارتفعتَ إلى عالمٍ نوراني تحتقر فيه كلّ ما في الحياة الفانية ويرَغبك في الحياة الباقية.

عاد لي أبي وهو يتهجد في السَّحر تلك الأنغام الروحية ويؤدي تلك الصلاة.. صلاة الليل التي يناجي فيها ربه، وأنا لا أفقه تلك الروحية التي تناجي مولاها، وعدتِ لي يا ذكريات عندما تعدُّ أمي مع الخادمات مأدبة الإفطار لينقلها بعض الخدم إلى مسجد أبي، ثم تُعدّ مأدبة الإفطار وننتظر عودة أبي من المسجد لتناول وجبة الإفطار.

إنها ذكريات حبيبة إليَّ ولكنها غابت وراء جدران الزمن. عدتِ لي يا ذكريات.. ذكريات الإخوان والأصدقاء عندما ينفضّ نادي أبي، ونجلس الحلقات الفكرية، نقرأ الكتب ونقَّفي الشعر، نتساجل الأبيات الشعرية، تزاحمت هذه الذكريات، وطافت على خاطري كمرور سرب من الطيور يتزاحمنَ على ضفاف الغدير، أو كلماحات الضوء، ونحن في سهرتنا الأدبية كحلقات نجوم نقرأ ونشرح تلك المعاني ونعلل الأحداث التاريخية. إنها ندوة علمية تولدت منها نهضة فكرية وأدب رومانسي، جدّد الأدب الفكر في القطيف وأرسل من سمائها فجراً ينحر الليل، ويطوف بالآفاق.

عادت لي تلك الذكرى، وعاد الإخلاء والإخوان، أين أخي العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي، أين أخي الشيخ حسن، وأين الشاعر عبدالواحد الخنيزي، والسيد علي العوامي، ومحمد سعيد المسلم، ومحمد سعيد الجشي، ماذا أعدّد يا ذكرى أحباب. لقد مضوا وغربوا كما يغرب طيف

الغروب عندما يتحول إلى وهجٍ على أمواج البحر وينطوي وراء تلافيف الزمن وخلف جدار التاريخ، ولم يَبْقَ إلا هاتف يهتف باسمهم إذا كان لهم طابع على أفق الحياة، وبصمة على جدار التاريخ، وإلا سينساهم التاريخ، ويصبحون ركاماً لا أثر لهم في الحياة، والأفضل من ذلك أن يكون سعيداً موفقاً للخيرات ومرضياً عند مولاه وخالقه فيستقبل حياة خالدة في نعيم وهناء، ورضوان من الله أكبر، وما أصدق هذه المقولة التي تنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (من كان بينك وبينه في التراب شبران فهو في غاية البعد) أو (طوبى لمن سكن التراب وأمِنَ العقاب)، هاتان مقولتان تنسبان إلى الإمام علي عليه السلام.

لقد طوفت بك يا قارئي في آفاق بعيدة، وأبحرت بك في بحور عميقة، والذكريات تزدحم عليَّ ازدحام طيور عطشى تريد أن تهبط إلى الغدير فترتوي من ذلك الماء العذب، وأين أفلتُ منك يا ذكرى وأنت تلاحقيني كأنك طوق لا أستطيع التخلص منه أنت جزء من حياتي، وأنا جزء منك فقد عادت ليَ الذكرى أيام بيتي بالقلعة، أيام هذا الشهر الفضيل الذي هو أفضل الشهور وتأمن فيه كلّ شيطان مريد.

كنا نتحدث ونحن أطفال أنّ الشياطين والجنّ لا يستطيعون أن يأتوا الناس أو أن يحاصروا البشر في السوابيط المظلمة، والطرق المخوفة عندنا آمنة، ولا نخاف، ولا نتخوف من أيّ شبح بل لا نرى تلك الأشباح التي تُخيفُنا بها تلك القاصّات العجائز التي تتحدث عنها وتخيفنا، ونلتصق بتلك الجدران خوفاً من تلك العفاريت والشياطين، لم نعد نشعر بخطر تلك القصص في شهر رمضان، إنما نحطم تلك القيود وننحر تلك الأشباح ننطلق في أمان ورحابة صدر وسعة أفق.

لقد عدتِ لي يا ذكرى فعادت ليالي شهر رمضان وما يتلى فيه من القراءات من كتاب الله وتنبعث منه تلك الأصوات التهجدية في جوف الليل، وفي الأسحار. عادت لي تلك الذكرى، وذكرى المسحراتية وما يهزجون به من أنغام، وهم في وسط كوكبة من الأطفال والشباب، يطرقون أبواب البيوت ليوقظ أهلها؛ لأنّ ذلك الظرف لا كهرباء ولا هاتف ولا ساعة ذات منبه لتوقظ النيام، إنما يعتمدون على المسحّر فهو يدور ليوقظهم، وعندما ينتهي الشهر يعطيه كلّ شخص ما يجود به، إنها ذكرى وما أحلى الذكرى.

ذكرياتٌ عذبة تمرّ على عينيَّ في لمحة كلماحات النور، ولكنها تتمثل على واقع مجسّدة في صورة حبيبة يعقبها تأسف وحسرة على ماضيها. إنّ المرء دائماً يحنّ إلى ماضيه، ويحبّ لو يعود إليه، وهذه أمنية لا تتحقق، ولكنها تنبعث من أعماق الإنسان ليتشبث بالبقاء، وهيهات البقاء إنه هو ذا الإنسان الذي يُنسخ كما تنسخ الشمس الظلّ عند الزوال ويمحوه كطيف الغروب.

لقد عدتِ يا ذكرى في هذا الشهر العظيم والذكريات كثر في هذا الشهر لا تحصى ولا تُعدّ أيها الذكرى، ماذا أكتب من حروفك وماذا أصورك وأنتِ تتزاحمين وتحتشدين على عيني وقلبي، إنّ في هذا الشهر الفضيل الذي لا تحصى فضائله ذكريات حبيبة غالية، ففي ليلة السابع والعشرين منه ذكرى ليلة العمر، إنها لا تتكرر ولا تعود.

هل تعود أيام الشباب فتعود ذكراه، إنها ليلة يرتقبها الشاب في ليالي عمره منذ يفتح باب الشباب ويدخل على أعتابه يرتقبها كما

يرتقب الصديان الماء العذب في صحراء ضلّ عن الطريق، إنها ليلة العمر وما فيها من صور طاهرة وحبٍّ عميق تحوط بالعروس كوكبة من زملائه الشباب، كلٌّ يريد أن يخدمه وأن يقدّم له ما يحتاجه أو ما لا يحتاجه يشعر العروس في تلك الليلة، هل يمرّ بأجواء ملائكية أو حياة يحكم فيها كأنه سلطان ليلة يشعر فيها العروس بمعانٍ تظلّ صوراً من الذكرى تلاحقه حتى آخر يوم من حياته.

أتذكر تلك الليلة وأبي يتقدم هذا الموكب والتهاليل والتسبيحات والتكبير لله هي أنغام ذلك الموكب الذي يفتتح هذه الليلة المباركة بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب، إنها ذكرى من أعزّ الذكريات وأغلاها، كلما لاحقتني شربت من صورها كؤوساً شفافة وتجرعت حسرات على انطوائها، هكذا الحياة تمرّ لحظات منها، بل كلّ آناتها مرور الضوء السريع تختطفنا وتسلخ من أعمارنا حتى تعيدنا إلى حياة خريفية يتلامع في رؤوسها الثلج وينخفض منها حرارة الدفء إلى درجة الصفر، أهكذا الإنسان أنه واقع لا جدال فيها.

وذكرى حبيبة تلاحقني في الليلة السابع والعشرين من الشهر الفضيل حينما قطنت في هذا البيت الواقع بحيّ الحسين، إنها ذكريات حبيبة لقلبي ولكنها فرّت من كفي كما يفرّ الطيف من جفن نائم وبقيت معانٍ تلاحقني أينما سرت وأينما تحركت وأينما سكنت.

فماذا وراءك يا ذكرى، تكلمي، أجيبي، أصامتةٌ أنتِ أم تقولين ليس لديَّ لك إلا اللهفة والحسرة على ما فات مني من ذكريات حبيبة لا تعود ولن تعود، فتأسّ يا شاعري، فلست الوحيد الذي انسلخت من حياته

ذكريات ولفّها الزمن السحيق فتسلى، ولا تكن من البشر الذين غرتهم الحياة وأبعدتهم عن صعيد الواقع ودمرتهم فما أغرك أيها الإنسان بهذه الحياة، وما أنت إلا كطير حطّ على شجرة ثم طار، ولم يعد إلى وكره.

هذه ذكريات حبيبة طافت على خاطري، ومرّت عجلاً تتزاحم على عيني، وددت أن أفرغها حرفاً على ورق، وأذيعها حديثاً إلى القراء، لعلّ لهم ذكريات كمثل هذه الذكريات فيستأنسون بها وتنقلهم إلى آفاقها.

والله الموفق لما يحبّه ويرضاه

1426/9/27هـ

2005/10/30م





من لي بإنسان

مَـن لـي بإنـسـانٍ إذا أغضبتهُ

وجهِلتُ كانَ الحلمُ ردَّ جوابـــهِ

وإذا طربتُ إلى المدامِ شربتُ من

أخلاقـهِ وسكرتُ مـن آدابهِ

وتراهُ يصغي للحديثِ بقلـبهِ

وبســمعهِ ولعلــهُ أدرى بـهِ

لقد مرت عليَّ خاطرةٌ من خواطر الذكرى، والذكرى صدى السنين. إنَّ الذكرى لها دورٌ في أعماق النفوس في كلّ ضمير إنسان عاش على هذا الكوكب ومرّ عليه، سواءً قصرت حياته أو طالت، وتعبيري عن طول الحياة إنما هو تعبير مجازي لا واقعي، فالحياة إنما هي ظلٌّ كظلال النخيل ينسخ في لحظات بدلوك الشمس.

فالذكرى تحيي في النفوس الآمال الذابلة فتنعشها فترجع أوراداً تتبسم في أغصانها وتهشُّ لناظريها، وقد تبعث الذكرى الألم والحسرة وتورث الندم والأسف، ولكنه لا يجدي الندم ولا الأسى. لقد مرّت بي هذه الخاطرة من ذكريات قراءتي لديوان الشاعر العملاق أبي تمام حبيب الطائي فكنتُ أردد هذه الأبيات التي لا تتجاوز مقطعاً واحداً وهي ثلاثة أبيات كما قرأتها في ديوانه، ولكنَّ هذا المقطع يفيض آداباً وأخلاقاً رفيعة، فأحببتُ أن أقف أمام هذا المقطع، وأكتب عنه وأذيع حديثي في هذا الشباب الناشئ الذي هو في ميعة الربيع كالزنبق والورد، ليحسّ أنَّ في الشعر العربي آداباً وأخلاقاً تعلمنا كيف نتعامل مع الحياة، ومع آبائنا وإخواننا، بل مع النوع الإنساني بدون تمييز، فلنقف أمام هذا المقطع ونجلي صورته ونحلل ما وراء الصورة، وما وراء الحرف الذي ينطق ويشير إلى هذا المعنى الإنساني الذي لو طبق في هذا المجتمع لكان من أفضل المجتمعات.

يقول الشاعر في لهفة وحسرة يبحث عن إنسان إذا غضب عليه وجهل عليه ماذا يكون جزاء غضبه وجهله على ذلك الإنسان يكون الجزاء والواجب لذلك الجاهل الغاضب؟ الحلم والعفو، إنَّ هذا الرد ينبع من أفقٍ رفيع المستوى، إنه يخالف المنطق الجاهلي الذي يقول:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

هل هذا من المنطق؟ إنه منطقٌ غير منطق، ويصور الحياة في موقدٍ جاحم ويهدم المجتمع الإنساني ويقطّعه أجزاءً متخاصمة متباغضة غير متحابَّة بعكس منطق أبي تمام.

ويلي البيت الأول صورة متحركة تشعرك بلذةٍ إنسانية لا تكاد أن تتصورها أو تلمسها بيدك على واقع الحياة حينما يطرب هذا الإنسان! يطرب مِمّ، ماذا؟ هل من الصهباء أو من شراب آخر، إنما يطرب، ويشرب من تلك الأخلاق التي لا توجد إلا في ندرةٍ من البشر، ويسكر من تلك الآداب. إنها كصورة تحرك النفوس وتقربها إلى مجتمع إنساني فاضل.

ويوغل الشاعر في احترام مخاطبه في أدب رفيع، وأداء فني وتعبيري ينسكب كما ينسكب النهر قطعة واحدة تجري بين صخوره، فسمعه كله آذان صاغية وقلبٌ واعٍ يتلقى كلّ ما يحدثه به مخاطبه بتجلة وترحيب، ولعلّ المخاطب هو أعرف بالحديث من محدثه ولرفعة آدابه، وخلقه التي ترفعه إلى القمم وتجلسه على عرشها.

لم يقاطع حديثه بأنّ هذا الحديث هو أخبر به منه وأعرف، بل يتلقاه كما يتلقى الصديان الماء العذب ويشرب من كأسه الشفافة، والمحدِّث لا يعرف المحدَّث بما يدور في صدره من معرفة انطوى عليها ذلك المحدَّث.

هكذا الأخلاق التي تبني المجتمع، فكلّ أمة لا أخلاق لها لا حياة لها وسرعان ما تنقرض، ولا بُـّد أن تنقرض، وخير مقولة لنبينا نبي الرحمة (ص): (إنَّ من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر لحكمة)، فهذه المقولة أختم بها حديثي، ونعم الخاتمة، فهي الضوء لنا لنسير على ضوء هذا الهدي في مدلهمّات الحياة، وفي ختام حياتنا لنفوز بالسعادتين الدنيا والآخرة.

هذا وأسأل الله أن يوحِّد كلمة المسلمين ويجمعها على سنَّة هدي محمد وآله.

والله ولي التوفيق

1426/10/12هـ

2005/11/14م





موازنة

تراودني خاطرةٌ من خواطر هذا العصر، وكلما حاولتُ أن أتفلت منها عاودتني وطرقت عليَّ باب قلبي طرقاتٍ عنيفة، وتزاحمت حول قلبي تريد أن تفتح لها باباً فتقفز منه لتتجمع في حرف وتتجسّد شاخصة ماثلة للنَّاظرين، خاطرةٌ ولَّدها هذا المجتمع، مجتمع القرن العشرين والحادي والعشرين الذي أنجز فيه العلم فتحاً علميًّا، وإنجازاً فكريًّا لو لم نعاصره لكنّا نكذبه وننكره، ولكننا أمام حقيقة وصل بها العقل إلى حدود تبهر الأفكار، وهي وليدة عقل صنعه الله وأفاض على عبيده.

فالعلم وما حققه من إنجاز يدعو البشرية للإيمان بالله ورسوله نبي الرحمة؛ لأنّ كتابه الباقي ومعجزته الخالدة أشارت آياته إلى أسرار كونية لم تعرف الأزمنة ما تشير إليه تلك الآيات القرآنية، فهي تشير إلى هذه الإنجازات العلمية، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام ابن الرسول صلى الله عليه وآله وآله: (القرآن يفسّره الزمن)، كما سمعتُ من بعض الفضلاء تنسب هذه المقولة للإمام الصادق عليه السلام (1) وقوله الحقّ؛ لأنه يصدر من منبعٍ

صافٍ يتسلسل عن آبائه عن جدِّه نبي الرحمة ﷺ وآله، الذي لا ينطقُ عن الهوى فما أصدقها من كلمة أخذ الزمان يوضحها، ولكن يا للأسف، أين المسلمون الذين هم أولى بالقرآن، وما فيه من أسرار كونية، لقد أهملنا الجانب الكوني، وأخذنا من القرآن الجانب العبادي فقط، ولعلنا لم نطبق القسم العبادي كما يريده خالقنا ونبينا الذي نزل عليه هذا القرآن المبين.

لقد أبعدتُ بك يا قارئي، وأبحرت في بحر عميق يشبه المحيطات، والهدف من هذا الحديث أن أجسّد الخاطرة التي تراودني حول الكتاب والكمبيوتر أي (الحاسوب) والتلفزة، وما تعرضه من أفلام خليعة تغري الشباب والشابات، وتغزو العقول في بيوتنا، وفي غرف نومنا وحتى أسرتنا عند غفوتنا وراحتنا فلعلّها تدمر ثقافتنا الأصلية، وهذا الغزو الفضائي يسير سير الضوء، ويلتهم الحياة في ثوانٍ، وهذه الخاطرة تسألني: هل يتغلب الحاسوب والتلفزة على قراءة الكتاب أم يظلّ الكتاب سميراً للمفكرين، والعلماء، (وخير جليسٍ في الزمان كتابُ) أم ينعكس هذا المفهوم، ويكون خير جليس في الزمان تلفزة أو حاسوب؟

إنني أظلّ متحيّراً لأجيب عن هذا السؤال، وأفكر في بطءٍ فأرى الزمن يلتهم الكتاب، ويعكف أكثر الجمهور بل جلّه، على التلفاز، وشريحة أقلية أخرى تعكف على الحاسوب، وشريحةٌ ضئيلة من هذه العقول الذين يقرؤون الكتاب، وهناك سلبياتٌ تحوم حول التلفزة وحول الحاسوب وسنقارن بين هذا الثالوث، ولعلنا نخرج من هذا البحث بنتيجة تقنع القارئ أو لا تقنعه، ولا تقنعني، غير أننا سواء اقتنعنا أو لم نقتنع، فالحاسوب هو معجزة القرن العشرين أو الحادي والعشرين، هذا

الإنجاز العلمي والتطور الفكري وقد تطور الفكر إلى حقائق نشاهدها ونلمسها، وهذه تدعونا إلى الإيمان، وأن نصدق بالمغيبات التي تحدث عنها الرسل التي سمعناها وأيقنّا بها إن كنا مسلمين، ونتبع ما جاء به الخاتم ﷺ وآله، وفي كتابه المعجزة الخالدة التي هي أعظم المعاجز وهي باقية خالدة خلود الحياة لا تزعزعها، ولا تمحيها العواصف ولا الطوفان.

وآية هذا العصر الحاسوب الذي احتلّ الحياة وزاحم العمال والموظفين فاختصر الزمن والمساحة الحسابية، فكان العمل الذي يديره عدة أفكارٍ من رجال عاملين اختصر هذه المساحة وأغنى عن تلك الأيدي، ولا شك أنه يتطور ولا يقف عند حدٍّ محدود سيصبح في المستقبل من لا يعرف أن يدير الحاسوب سيحسب أُمًّيا في عرف عصره، لا محلّ له من الإعراب، هكذا الحاسوب زاحم الأيدي العاملة والمفكرين.

أما التلفاز فهو يشغل حيّزاً كبيراً من عقول الشبان والشابات وحتى الشيوخ والشيخات، فهو يلج عليهم بيوتهم، وغرف نومهم بدون استئذان، فالتلفاز زاحم الكتاب بل هو ضرّته التي نافسته في شهر العسل الذي تزوج عليه النظّار في بمشاهدته، فانكمش الكتاب عند بعض المفكرين وظلوا يلهون بالتلفاز، وما فيه من مشاهد صور أفلام تثير عواطف الشباب والشابات وتعيد الشيخ والشيخة إلى الصبوة، فسلبياته أكثر من إيجابياته.

أنا لا أنكر للتلفاز بعض الإيجابيات، أما الحاسوب والكتاب فبينهما اتصال وانفصال، قد تفتح الحاسوب فتشاهد كتاباً تقرأ حروفه من ألفه

إلى يائه أو بعض أبيات من قصيدة أو مقال لكاتب، وقد تشاهد هراء ينزّ بالترهات والأحقاد، لم نستعمل الحاسوب في حياتنا كأخلاق رفيعة يستفيد منها عقولنا كما زاحم في الحياة عمالنا وقضى على شرائح، قضى على حركتهم في العمل. فبين الحاسوب والكتاب اتصال يعيشه المفكرون الذين يعرفون كيف يديرون الحاسوب، وهل يغني الحاسوب عن الكتاب، ويستغنون عن هذه المكاتب فيبيعون مكاتبهم ويعكفون على الحاسوب!

في نظرتي الضوئية التي تستشف ما في الحاسوب من أخطار وضرر على العين لا يوجد في الكتاب؛ لما فيه من إشعاع والمداومة عليه ساعات طويلة قد تضرّ بعين الذي يعكف عليه. قد لا يؤثر على من يستعمله بتنظيم ووقاية من الإشعاعات كالفلاتر التي تمتصها وما يماثلها.

أما الكتاب ففي نظرتي لا يؤثر على العين كما يؤثر الحاسوب، لا شك كلّ شيء يخرج عن حدِّه يرجع إلى ضدِّه، كما تجد لذَّة لا تجدها في الحاسوب، وإنّ المكتبة في البيت تشعرك بأنّ هناك مفكرين يعيشون معك، فما عليك إلا أن تمدّ يدك إلى رفّ مكتبتك فتتناول منه سفراً من أسفاره فتفتحه فتتحدث مع تلك الثلة من المفكرين فتعيش معهم ساعات فيحلو الحديث وتطول السهرة.

وقد يكون الحاسب يشارك الكتاب في حديثك مع المفكرين؛ لما فيه من كتب اختصرت مساحتها، وطبعت على شاشته فما عليك إلا أن تدير الحاسوب فتقرأ ما تشاء، ولكنّ الجمال الذي هو في الكتاب لا يوجد

في مكتبة الحاسوب. وهناك مميزات للكتاب وإيجابيات قد تكون أكثر نفعاً وإيجابيةً من الحاسوب التي تنعدم منه تلك الميزات فإنك تشاهد آلة صمّاء لا تنطق إلا بمدد من التيار الكهربائي وبيد صنّاع تمرست في إدارة أقراص الحاسوب، أو لعلّها في فجر بدايتها.

أما الكتاب عند قراءتك له فلا تحتاج إلى هذه الكلفة وتقرأه فتسامره وأنت نائم على سريرك ومستلقٍ على قفاك أو على أحد جانبيك، والحاسوب لا تستطيع أن تخضعه كقراءتك للكتاب، والكتاب أثمن كنز وخير تراث.

لا أنكر أنّ الكتاب معرّض للأرضة فقد تمشي عليه وتأكل حروفه وأوراقه، والحاسوب معرّض إلى إزالة ما فيه عن طريق المحترفين الذين يرسلون عليه الفيروسات فيمحون ما فيه عن طريق الإنترنت، إنهم كاللصوص يتلصصون على تلك المعلومات فيسرقونها أو يمحونها، أما الكتاب فهو بعيد لا تصل له الطريقة اللصوصية، والكتاب أطول عمراً من الحاسوب، قد تمرّ عليه الآلالف من القرون فيصير أثرياً من الآثار التاريخية الثمينة، والحاسوب آلة صماء قد يلحقها الدمار فتصدأ ومعرضة إلى الخراب والعطل، وهذا لا يوجد في الكتاب.

أنا لا أنكر أنّ كلّ شيء زائل ولا خلود في هذه الحياة، الخلود والبقاء لخالق الحياة، ولكن هناك خلود أو بقاء في الأعمار نسبي، كما قال الشاعر العملاق أبو الطيب المتنبي:

تتخلـف الآثار عن أصحابها

حينـاً فيدركهـا الفنـاءُ فتتبـعُ

ولعلّي خرجتُ بنتيجة وبمقارنة واضحة بين الثالوث: الكتاب والحاسوب، والتلفاز، ولا أعرف، هل القارئ يقنع بما طرحته في بحثي وأذعته من هذه المقارنة، الرأي له وله كامل الحرية.

1426/10/20هـ

2005/11/22م





ذكريات

تمرّ بي ذكرى أليمة لا كالذكر، تتردد أصداؤها في قلبي وتخطر في عيني، ذكرى مفجعة كلما تصورتها أو تمثل شريطها فزعتُ منها ألماً، وسكبتُ قلبي في كأسٍ حرَّاء تفيض ألماً، هي كأسٌ ليست كالكؤوس، وألماً لا كالآلام لما ضببته في سماء حياتي وألقت عليها أحزاناً وبطنتها بليلٍ كئيب حتى كدتُ لا أبصر أين المخرج لأنفذ، وأفلت من هذا الليل المتراكم، والمتضبب على حياتي، أين النور يا ربي، إنني أناجي ربي وأرجوه، وأتوسّل إليه أن ينبثق لي نور من رحمته ليشرق في دربي المعتم، وفي حياتي المدلهمة الغائمة بالأرزاء.

لقد عشت في صراع طويل بين فكّي أعوامٍ، وأيامٍ تنهش في دنياي، وتنحر أمانيَّ على عتبة الشباب.. الشباب الذي يطمح له الشيخ الذي انطفأ منه وهج الحياة. في كلّ لحظة أصارع هذه الأشباح التي تتراقص أمام عينيَّ وفي طريقي، وفي يقظتي وفي بيتي وفي نومي، لقد سدت عليَّ جميع طرق حياتي وتركتني وحيداً لا معين لي إلا الله وكفى به

معيناً، ولكنَّ الحياة موجات أو كالبحر اللجيِّ من البلايا تطغى على المرء فيسير في ذلك الخضم كزورق صغير تعبث به الأمواج فهو لا يعرف إلى أين المقر، أو تغرقه تلك الأمواج فيصبح في خبر كان قبل أن يبني له دنياً ويرسو على شاطئها، ويطلع من شقوق غمام ليلها قمراً منيراً أو شمساً مضيئة تضيء عتمة الحياة للسالكين من الأجيال المعاصرين أو القادمين أو تبتلعه تلك الأمواج فيكون نسياً منسياً.

إنَّ هذا الصراع لاحقني أعواماً طويلة لعلّه يزيد على أحدَ عشر عاماً، وأنا تتقاذفني أمواج ليله ولكنني لم أُهَنْ ولم أستكن؛ لأني توكلت على الواحد الأحد، وكان هو المعين لي في هذا الصراع هو توجهي إلى الخالق المعبود والتوكل عليه، فمن توكل عليه لم يخيّبه، وأنجاه من كربه، ومن حيرته لستُ الوحيد، ولا الأخير الذي مرَّ بهذه التيارات المتلونة بالمصائب والبلايا، فالبشر جاء هذه الحياة ليختبر، كي يُصهر على مجمرها، فإن كان صبوراً شكوراً لله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن كان كفوراً فله غداً سلاسل وأغلال، ويتميّز الإنسان من غير الإنسان الصبر والخضوع لأوامر الله والرضا بالقضاء والقدر.

إنك تلمس بوناً شاسعاً بين الإنسان المسلم والإنسان غير المسلم. إنَّ الإنسان غير المسلم عندما تضيق به الحياة ولا يطيقها يلجأ إلى إعدام نفسه بالانتحار؛ لأنه لا يركن إلى صيدلية يتناول منها حبوباً أو جرعة تشفيه من ذلك الداء. فليس أمامه إلا اليأس والإقدام على إزهاق نفسه.

أما الإنسان المسلم فإنَّ أمامه صيدلية فيها دواء لكلّ داء، فما عليه إلا أن يلجأ إليها فيتناول منها ما يشفي ذلك الداء، وفي لحظات تبصره

كأنه لم يمرّ بأفق تلك الأزمة النفسية، ويعود إلى طبيعته الإنسانية، فالقرآن الكريم فيه ألف ألف دواء، وهو يصرخ وينادي وننزل من القرآن ما فيه شفاء للناس فيه شفاء الأرواح، شفاء الأجساد، شفاء كلّ شيء، شفاء من الضلال، شفاء من العمى، ولن ننسى سنة الرسول الكريم ﷺ ففيها الشفاء والنور والهدى.

لقد أبحرت بك يا قارئي، وسرت في بحور عميقة حتى بَعُدَ علينا المرفأ، لا نرى فناره حتى نعود إليه، فلنبحر بزورقنا لا على ضوء الفنار الذي يرشد الجواري في ذلك البحر العميق ولكن على فنار السنين.. السنين التي تمرّ في مرورها أسرع من الضوء، وتختطف أعمار من في الخريف أو من في الربيع، إنها السنون التي تمرّ بمراكبها على جبهة الأيام فتشققها وتخددها درباً فدرباً، وتبلي البشر كما تبلي الحديد والحجر، لا خلود في هذه الدنيا ولا بقاء إلا الله وحده، هو الخالق وهو المميت وهو المحيي وهو حيّ دائم لا يموت.

عودة أخرى إلى فنار السنين ليضيء لنا عتمة هذه الأعوام الطويلة التي هي كالغربال يسقط منها الزوان ويبقى الحَبُ، وأقصد بالحب شريحة من هذا البشر التي تكون نادرة وقليلة، وقليلٌ ما هم. إنَّ العباقرة في الحياة يجيؤون على ندرة فيضعون التاريخ فيكون التاريخ قطعة من حياتهم وليس هم قطعة من التاريخ، فإذا انطووا عن هذه الحياة كانت لهم بصمات على صفحات الحياة يسجلها التاريخ بأحرف من نور في دنيا الخلود ستظلّ تنير للأجيال ما دام هذا الكوكب يدور حول الشمس، فأفكار العباقرة هي غذاء الروح، وهم المائدة الضخمة التي يمتار منها البشر كلّما سغب روحيًّا وفكريًّا.

وإنَّ فنار السنين يضيء لي آفاق ذكرى أعوام طويلة بعيدة فيها ألم وحسرة تمرّ بي في كلّ عام ما دمت أدّبُّ على هذا الكوكب وأتنسم أكسجين ذكرى مرّ عليها ثلاثة وستون عاماً بالتاريخ الهجري وبالميلادي واحد وستون عاماً، وقد تبدّل فيها كلّ شيء وغاب عنها أشخاصٌ كنا نسامرهم ويسامرونا وعاشوا مع صاحب هذه الذكرى. إنَّ الحياة لا تقف ولا تتعطل لموت شخص أو أشخاص فهي تمرّ في موجها العتي تدفع البشر في تيار جارف إلى يومه الأخير، غير أنني أميّز بين شريحة من العباقرة وبين الشرائح البشرية.

فلنعد إلى هذه الذكرى التي مرّت عليها تلك الأعوام وانطوى في تلافيفها من الأحباب وتبدل فيها كلّ شيء، حتى البيوت المعمارية التي كانت تجسم على أرض حاضرة القطيف انتهت ودكت وأصبحت لا أثر لها! أين النخيل والأشجار والبساتين، أين العيون الساهرة والساحرة التي تسيح في جداولها أربعاً وعشرين ساعة فتسقي البساتين والحقول، أين البحر الذي كان يزمجر بموجه على مقربة من القلعة (حاضرة القطيف)! كلّ شيء تغيّر وتبدّل كأنها أصبحت بنت أمس أو بنت اليوم، آثارها التاريخية لحقت بأمسها الدابر وقبرت في لحودها كما يقبر الميت في لحده، فيا لها من ذكرى مريرة كلها مآسٍ.

ذكرى فقد أبي حيث مرّ على رحيله واحد وستون عاماً ميلادياً، ثلاثة وستون عاماً هجري، وهذه الذكرى لم تمت طيوفها الحزينة، وأتجرع صابها في كأسٍ مبطنةٍ بحلمٍ عاثر هو حلميَ الدراسي الذي تناثر أمامي كما تتناثر أوراق الشجر عندما تعصف بها الريح القاصفة، أو كما تمدّ لها يد الخريف فتقّصفها.

كنت أحلم بأن أكمل هذه الدراسة ولا أقف على الشاطئ الذي وقفت عنده، وإن كنت قد قطعت الكثير من كتبها وسبحت في بحرها، ولكنَّ العلم بحرٌ لا تقطعه السفن، غير أنّ الثالوث غير المقدس: موت أبي والبؤس وكثرة العائلة، حال دون سيري في هذا الأفق الروحاني النوراني.

وهذه العوامل كلها تحتاج إلى مادة، ولا مادة لديَّ في ذلك اليوم، فعشت في جوٍّ خانق أنحر رغباتي بمُدى البؤس على أعتاب الشباب وأبطنها بغيمات اليأس، وظلام الليل دامس، فألجأ إلى جوٍّ مأساوي أسرج فيه شموع الشعر فأتنفس في ذلك الجو

رغـباتٌ نحرتها بمدى الـبؤس

وحـبرتُ مـن دمـاها كتابي

والشـباب الضحوك بطَّنه اليأس

فـماتت أحلامهُ فـي الشباب

وهي فترة من فترات حياتي بعد رحيل أبي من الدنيا الفانية إلى الدنيا الباقية، لا أنساها في حياتي فهي تمتزج بكياني امتزاج الدم في الجسم. إنها فترةٌ مرةٌ صارعت فيها الثالوث غير المقدس، وبرغم ذلك واصلت الدراسة العلمية طيلة إحدى عشرة سنة أو تزيد قليلاً، وأنا قابضٌ على كتاب الدراسة بيدٍ من حديد لا يكاد أن يفلت من يدي، وهذه الأعوام كانت تمثل البؤس.. البؤس الذي لا يرحم، ولم يكن لي في تلك الفترة معين أو عطوف أو محسن من بعيد أو من قريب

وحدي مع الأيام أصارعها إلا فيضاً من رحمة الله وضوءًا ينير من لطفه فيبسط ظلالهُ على أرجاء سمائي، وصبرٌ من سيبه يمدني كلّ هذه الفترة مشيتها بخطوات ثابتة، كما يقول الشاعر:

مشيـــناها خُـطـــاً كتبــت علينا

ومن تكتبــ عليــه خُطاً مشــاها

وكان العون والمدد من الله حيث فتح لي كوةً مما تضبب في سماء حياتي شع منها بصيص ضوء فسخّر لي بائع قماش، أي في اصطلاح لغة التجار أو بالأحرى لغة القطيف بزَّاز، فكنت أبتاع منه ما أريده من قماش للعائلة ولي فيقرضني الثمن إلى الصيف حتى يحل حصاد الثمار، وكذلك تاجر آخر يتاجر في الأطعمة يقرضني ما أحتاجه من الأطعمة فخففا عليَّ بعض الويلات، وقد أشرت إلى ذلك تفصيلاً في كتابي خيوط من الشمس، إنما هذه جملة اعتراضية ونعود لهذه الذكرى بعد هذه الأعوام الطويلة والألم تنحر قلبي على مذبح الحزن لا لحاجة مادية وبفضل الله بسط عليَّ ظلّ نعمه ليختبرني وهو العليم بذلك، أأشكر أم أجحد وأنا أدعوه أن يجعلني ويوفقني أن أكون من الشاكرين المخلصين لطاعته وأوامره فإنما أنا ألم وحسرة لهذه الذكرى وفاءً للأبوة.. الأبوة الحانية التي لا يستطيع الإنسان أو بالأحرى الابن أن يؤدي حقّها مهما حاول في حياة والده أو بعد رحيله من هذه الدنيا الفانية، فيجب عليه أن يكون همزة صلة في حياة أبيه وبعد رحيله فيبرّه بالصدقات وبالأعمال الخيرية وبقراءة القرآن له وما أكثر الأعمال الخيرية التي ندب لها الإسلام وحث عليها.

فهذه الذكرى تمرّ مرور البرق السريع لقد طوت بين صفحاتها وطحنت بكلكلها مفكرين وعلماء وبشراً كلهم قد طووا في تلافيفها ونزلوا وراء جدران التاريخ وسوف تمضي أجيال وأجيال، وهكذا سنة الحياة وكلّ حيّ سيمضي على أثر كلّ راحل،

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

[سورة الواقعة، آية60].

هذه الذكرى تصور لي أمسي ماثلاً بين عيني كأنني معه أتمتع من حديث أبي وأشرب من سلسال نبعه العلمي المتدفق كالأنهار، ما أشبه الأمس بالبارحة، وما أشبه البارحة بالأمس، ولكنه حلم فيه لذة وألم وحسرة، وهل يجدي الألم أو الحسرة؟!

إنهما لا يجديان، وليس لك إلا التفويض والتسليم لحكيمٍ لا يفعل إلا لصلاح وحكمة لعبيده، ولكننا تخفى علينا المصلحة، ولا نقرأ ما وراء الغيب وما ينفعنا وما يضرّنا، ولذلك يجب علينا التفويض للخالق المصور الذي هو أرحم منّا بأنفسنا، سبحانك عما يصفون.

وبرغم هذا الفاصل الزمني البعيد الأمد كأني معه تضمنا جلسة فكرية أو علمية أو أدبية وهو يلقي عليَّ من تلك الدروس الضوئية ويوصيني بالصبر على كلّ مصيبة وبرضاء الله وقدره، وبالتقوى وهي خير زاد في الدنيا وخير كنز في الآخرة. إنَّ وصياه وتعاليمه هي كثر قد أذعت منها من دفتر الذاكرة إلى ذاكرة التاريخ ولكنَّ هذا الحديث أخذ

مساحة شاسعة من الورق فنؤجل ما يجول في ذاكرتي بمشيئة الله، فإنّ له الأمر والمشيئة حتى حديث آخر.

وأختتم حديثي هذا؛ لأنني أطلته وذكرى رحيل أبي فهو باقٍ في حرفه الخالد في كلّ يومٍ يقرأ المفكرون ما تركه من ثروة أثرة في كتبه فسلام عليك يوم رحلت من هذه الحياة.

غفر الله لك وأسكنك جنانه مع النبي وآله إنه سميع مجيب.

1426/11/24هـ

2005/12/26 م





نظرات

لاحظتُ في مرثيات قراءاتي في ديوان الشوقيات الجزء الأول لأمير الشعراء أحمد شوقي، في تلك المرثيات التي أبحرت فيها إلى عمق المعنى، وأتجاوز إطار اللفظ، أي الحرف، فأدخل إلى الهيكل الروحي فأرى تلك الأشعة التي تنبثق من فكر صناع أوجده مبدع الكائنات وألهمه فاطر السماوات والأرض فتتفجر ينبوعاً يتدفق بمعانٍ روحية في صور شفافة، وبالفن العبقري وبالأداء الفني.

لقد مررتُ بقصيدته التي يصف فيها ـ أبا الهول ـ وهو تمثال من صخر نحته بانوه في فنٍّ دقيق، ولكنَّ النظَّار لا يصلون إلى ذلك الفنّ الذي تحدث عنه الشاعر وجلّاه وأطَّره في صورة فنية في رأيي هي أبلغ من فنّ باني أبا الهول. فقد يصور الشِّعر أو الأداة الحرفية صورة متحركة ناطقة تمثل أمام عينيك فكأنك تشاهدها وتعيشها على واقعٍ ملموس، أما الباني فهو لا يزيد على أن يسكب فنّه في صخر ينحته وينسقه في

فنٍّ قد تهبّ عليه أعاصيره الزمن فتغيّر من ألوانه وتبدله بمنظرٍ غير جميل وتحول جماله إلى منظرٍ وَحْشٍ لا يطيق الإنسان أن ينظر إليه، وقد تدمره أعاصير الزمن فتمحيه من رقعة الوجود.

أمّا فكر الشاعر فسيبقى تمثالاً خالداً في الأحقاب والقرون، والذي أثار إعجابي عندما يتحدث الشاعر عن ذلك الوصف الفني الذي بلغ فيه الذروة ووصل فيه إلى غاية الزخم، ولست مبالغاً إذا قلت إنّ الشاعر أعطى هذا التمثال وصفاً لم يدركه بانوه، ولم يعرفوا أسراره إنما الشاعر الحسّاس بحاسته الفنية وبأذنه الموسيقية وبما يتمتع به من حواس فنية تعطي الشعراء فناً ما يعجز عنه الفنانون الآخرون.

وقصيدة (أبو الهول) في تمثال صخري أكبر شاهد لي على الرؤية التي أتحدث عنها، وأذيعها في هذا الحديث. والذي أوقفني طويلاً عندما كنت أقرأ قصيدة (أبو الهول) هذا المقطع الذي يتحدث فيه الشاعر عن معجزته الشعرية وبلاغته الفنية:

وشكوى لبيد لطول الحياة ... ولو لم تطل لتشكى القصر

ولو وجدت فيك يا بن الصفاة ... لحقتَ بصانعك المقتدر

فإنَّ الحياة تفلُ الحديد ... إذا لبسته وتبلي الحجر

وقفة معي عند هذا المقطع لنرفع الستار ونلجُ في الأعماق لنشاهد صوراً متحركة وحياة متجددة، هل نحن أمام تمثال من صخر صامت؟ لا! فلقد أعطاه الشاعر مسحة من مسحات الفن ونفحة من نفحات الحياة وكأنه يتحرك في إرادةٍ وعزم.

إنّ الشاعر يخاطب هذا التمثال لما مرّ عليه من طول الزمن، أربعون قرناً وهو يعيش على الرمال يحصي أنفاس البشر ويشير لمن مرَّ وغبر حتى تهزأ بديك الصباح، ولكنه لم يفلت منه فأسال عينيه.

والشاعر يضرب مثلاً لهذه الحياة الطويلة إن صح أن نسمّيها حياه، ولم يشكُ هذا التمثال كما شكا لبيد من طول الحياة، ولو لم تطل حياة لبيد لتشكى من قصرها، فالإنسان جحود لا يرضى إلا بما يراه، وليس له في الحياة أمرٌ ولا نهي.

وهنا نكتة الشاعر البديعة التي تصل إلى ذروة الفنّ حيث يخاطب التمثال فيقول: لا فخر لك، ولا ممدوحة، فأنت تعيش صخرةً صماء، أنت ابن صفاة لم توجد فيك الحياة حتى تشكو من طولها أو قصرها، ولو حويت الحياة للحقت بصانعك الفنان الذي صاغك من صخر جامد تمثالاً من هذا الفنّ المشاهد، فأين صاحبك الذي صاغك مضى وانطوى لأنه حوته الحياة، والحياة تفني وتفنى، ولا تبقي ولا تبقى، ويشير الشاعر إلى هذه الصورة المتحركة ببيته إلى ما صوره من صورٍ تخطف العقول بما فيها من فنون بديعة وسحرٍ بليغ، فإنّ الحياة تفلّ الحديد إذا لبسته وتبلي الحجر، فكأنك يا بن الصفاة بقيت؛ لأنك لم تلبس الحياة، ولو لبست الحياة لأفنتك وألحقتك بماضيك، فالحياة تذيب الحديد وتبلي الصخر الصلد إذا كان ذلك الحديد أو الصخر لبس الحياة، أما إذا لم يلبس الحياة فسيبقى صخراً صامداً جامداً لا حياة فيه ولا حراك فهو ميتٌ أُجِّل دفنه.

هكذا الشاعر وصف هذا التمثال بوصف قلّ من يصل إلى هذا الوصف الذي جسّده في صورة متحركة كشريط سينمائي يشاهده النظَّار ما دامت الحياة، وما دام هناك مفكرون يقرؤون الشعر. وليسمح لي أمير الشعراء لأهمس في أذنيه من وراء جدران السنين الطويلة ومن وراء حجاب القرن العشرين والواحد والعشرين لأقول له برغم ما أبدع في هذا التصوير إلا أنّ هناك نكتة واقعية لم يشر إليها الشاعر حيث إنّ الزمن لا يرحم، سيفنى أبا الهول ويلحق بصاحبه غير أنّ الخلود هو درجاتٌ تتفاوت بين شخص وآخر وبين عبقريٍّ وفكره المجسّد في حرف يقرأ، وما أصدق قول الشاعر العملاق المتنبي:

أيـن الـذي الهرمان من بنيانه
مـا يومه مـا قومـه مـا المصرع

تتخلـف الآثار عن أصحابها
حيناً فـيدركها الـفـناء فـتـتبعُ

فالفناء يبيد من فيه روح يتحرك في هذه الدنيا ومن ليس فيه روح كأبي الهول والجبال والصخر.

وقد بدأ التغير والتبدل يطرأ على هذا التمثال الصخري فلم يعد كما أقامه بانوه يوم نفضوا أكفّهم من أشادته، وقد نقَّر عينه الدهر وحول صبغته إلى غير ذلك من التغير الذي طرأت عليه، فليت الشاعر أعطى عن هذه الظاهرة صورة خلابة وإن أشار إليها من بعيد لما حصل في

عينه من ديك الزمان، وأختم هذا الحديث بهذه الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

[سورة القصص: آية 88]

2005/12/5م

1426/11/3هـ





في ذكرى الأربعين

هذه الكلمة قولتها مؤبناً الشيخ منصور حسن نصر الله، وألقيت في ذكرى أربعينه ونشرت في مجلة الواحة العدد (رقم العدد غير مذكور)

إنَّ التاريخ حركة دائبة، وهو قطعة من الحياة، أو الحياة قطعة من التاريخ، فهذه الحركة ترتبط بهذه الحياة ما دامت هناك حركة فهناك حياة. إنَّ النهار والليل حركتان من تلك الحركات التي تمرّ مرور الخيال، أو مرور رؤية حالم يتعاقبان على هذه البشرية، ويجدّان، وفي طياتهما العمل الدؤوب للإنسان، ونهاية الشوط وانطفاء السراج، وانطواء العمر، وآخر خفاقات السراج.

إنها حركة تمرّ في تلك الساعات التي تتألف من الأرض والشمس، إنها قدرة من الصانع الخلاّق، لا يتوقفان هذان الجديدان عن حركاتهما أو يعجزان، أو يسبق أحدهما الآخر فهما في جدتهما تتجدد معهما الحياة في كلّ إشراقة شمس وغروب شمس، إنّهما يدلان على قدرة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي في كلّ شيءٍ له آية تدلّ على أنه واحد

لا شريك له في ملكه ولا ظهير، فهو يدبّر الليل والنهار، ويدبّر كلّ ما يدُّب على هذا الكوكب منذ خلقه للبشرية، وتكفل برزق من عليه.

فالحياة حركة دائبة تسير سيراً دقيقاً لا نصل إلى ما وراء أسرارها، وما تدور فيه من بروج أفلاك، ودنيا مليئة بغرائب وعجائب، وبأفكار وعقول صنعها خالقها، ومنحها الموهبة لتزرع في هذه الحياة ما ينفع البشرية، وقد تزرع ما يضرّها كاختراعات الأسلحة الفتاكة، وهذا بفضل العقل الذي خلقه فاطر السماوات والأرض في الإنسان، وجعل له التميز على الحيوان بهذا التفكير الذي أعطاه شعلة من ضوء التفكير تهديه في مدلهمات الحياة، وليلها ونهارها.

والعقل قد يخرجك من أزمات الحياة إلى مستقرٍّ آمنٍ مطمئن، ويرشده لعبادة الرحمن، ومعصية الشيطان، فالعقل هو المحور الذي يتمحور عليه كلّ إنسان يعيش على هذا الكوكب، وكلٌّ يأخذ حسب طاقته العقلية التي منحها الله له. فالعقل يفلسف الحياة، ولكنَّ فلسفته قد تتبخر كما تبخر الريح الغيم، فلولا العقول لكان الحيوان أدنى شرفاً من الإنسان، فالعقل هو الذي رفع الإنسان إلى أوجٍ بعيد المدى، وتصرف في هذه الدنيا في بحرها وبرّها وجوّها، كلّ هذا السباق بفضل العقل، فالعقل نعمةٌ من نعم الله على الإنسان، ولكنَّ الإنسان جحود لا يتصور هذه النعمة، وهو في لهفة عارمة إلى المادة في ميدان الشهوات والرغبات المحمومة.

إذاً فالعقل حركة كما إنَّ الحياة حركةٌ، والجديدان حركتان دائبتان بين طياتهما ميلاد للبشر ومصارعٌ لآخرين، ففي غروب شمس كلّ يوم

يودع الحياة، وينسكب شفقاً دامياً على عرائس النخيل، وأمواج البحر يشير إلى البشر، لقد قرب غروبكم كما غرب اليوم، فهل هناك عبرةٌ لهذه الحركة، وهذه الإشارة وهذا السكون الذي يعقب حركة الحياة يعقبها سكونٌ وهو الموت.

الحياة حركة، والموت سكون، وقد عرَّف الموت، والحياة شاعرٌ كان دقيق العبارة أبدع في التصوير:

هو بَردٌ يَطفي حرارة طبعٍ وسكونٌ يأتي على الحركات

إنَّ هذه الصورة في حرفها الفني على بساطتها يفسّر أنَّ الحياة حركة، وأنَّ الموت سكون، ولم نأتِ بجديد لتعريف الحياة، أو ما يجدُّ عليها، وما يغفو على آفاقها، فقد أشار كتاب الله المجيد إلى تلك الحركة في آيات بيِّناتٍ تعرِّف الكون ما بعده تعريف:

(إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب)

أشارت الآية الكريمة إلى أنّ الحياة حركة دائبة لا تنطفئ، وفيها عبرة وموعظة لذوي العقول الذين يتفكرون في آيات الله:

وفي كلّ شيء له آيةٌ

تدلّ على أنه واحدُ

فهو لا شريك له، فمنذ خلق الله هذا الكوكب، والسماوات وما فيها من آيات تتحرك بإذنه، ولا تسكن إلا بأمره عندما تقوم الساعة عندما يشاء الله ذلك، فما الحياة لأفراد الإنسانية إلا كحلمٍ، أو ظلّ ينسخه

دلوك الشمس، فالإنسان كالطيف يمرّ بآفاق هذه الحياة، وكثيرون الذين يمرون فتصرعهم الدنيا بكلكلها، وتودي بهم إلى مصارعهم إلى لحدٍ ضيّق، كأنهم لم يمروا بهذه الحياة، ولم يشغلوا منها مركزاً يطلون من علٍ على هذه البشرية فَنُسوا، وأصبحوا كالطلول البائدة، وقليلٌ ممن يمرّ بهذه الحياة فيترك بصماته على صفحات التاريخ يتألق مصباح ينير الأجيال، ويهدي السالكين حتى يشاء الله أن يرث الأرض وما عليها، قليلون جدًّا هذه الفئة الخيرة والخيرُّون قليلون.

وكان هدفي من هذه التوطئة لأشير إلى صديقٍ غرب طيفه يوم السبت الموافق اثنين وعشرين من ذي القعدة عام ستة وعشرين بعد الأربعمئة والألف هجرياً، الموافق الرابع والعشرين من ديسمبر عام ستة بعد الألفين ميلادياً، وهو الشيخ منصور بن الحاج حسن نصر الله.

ومن الغرائب والعجائب أن يكون هذا الغروب قريباً من رحيل الإمام أبي الحسن الخنيزي حيث رحل الإمام يوم واحد وعشرين من ذي القعدة عام ثلاثة وستين بعد الثلاثمئة والألف هجرياً، فكأنه معه على موعد في هذا التاريخ؛ لما يكنّه الشيخ منصور من حبٍّ وتفانٍ في حبّ الإمام أبي الحسن الخنيزي، بل يعشقه ومتأثرٌ بحياته كما يتبع الظلّ الشخص، ولهذا التأثير الممضّ في نفس الشيخ منصور كاد أن يقضي عليه لتأثره برحيله، فالعلاقة المنسجمة بين الشيخ منصور، والإمام الخنيزي علاقة روحية، والعلاقة الروحية تسمو بالأرواح وترتفع بها عن الحياة المادية.

يا أبا محمد رضا، أنا لا أنسى تلك العشرة، وتلك الأخوة التي نمت

بيني وبينك منذ عصر الصغر، ففي كلّ يومٍ عندما تتناول وجبة الغذاء لا تهدأ، ولا ترتاح حتى تكون في ذلك النادي المتواضع البسيط في بيتي الكائن بالقلعة حاضرة القطيف حينذاك تقرأ بين الأسفار، وتشرح تلك المعاني في انسجام أخوي دام ردحاً طويلاً من الزمن لم يفصله إلا العوائق المرضية، والظروف الزمنية، وبرغم ذلك لم تنقطع تلك الصلة الروحية، فكان لها أجنحة ترفرف على تموجات روحية تربطني بك روحياً وجسمياً، فكنت مثال الودّ والإخلاص انعكس هذا الحب في قلبك وتبرعم فيه حبّك لأبي إلى أبنائه، وكنت الصريح في حياتك لا تجامل ولا تداهن حتى من هو أعزّ عليك كما سمعت منك مقولةً تجأر بها في الحقّ وتذيع إليَّ كامن أسرارك. فاليوم قد رحلت عنا وهذا طريقٌ عامر، ويخفف عنّا هذه الويلات في مصابك أن لا باقي أحدٌ غير الله.

أبا محمد رضا، غرب طيفك صباحاً لتودع الحياة وتنفض هذه الأتعاب، وهذا السير الطويل الذي كدحت فيه، وماذا أقول فيك وأنا درستك درساً طويلاً في عشرة طويلة، ولكن أقول كلمة مختصرة: إنك مؤمن وكفى بالإيمان لباساً، فإن رحلت فإنَّ لنا العزاء في ابنك الأستاذ محمد رضا وأخيه عبدالله، وماذا نصنع إنَّ لك فراغاً سأشهده كلّما زرت بيتك لم أرَ ذلك الرجل الذي يحبّ الحرف ويعشقه حتى يتخمه، فأنت نَهِمٌ للحرف لا تملُّ ولا تسأم من مسامرة الكتب، وحتى بعدما أصبتَ بالسكتة الدماغية تطلب من يقرأ لك فأنت والحرف عاشق ومعشوق، ولكن ليس لنا إلا التفويض والصبر، وما علينا إلا أن ندخل صيدلية الإسلام لنتناول جرعة من تلك الجرعات التي تشفي المصاب وتسكن الألم، وإن كان الألم على فورة ممضّة ونفزع إلى الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾.

وإنَّ هذه الحياة كشريط تتمثل ثم تغيب:

مـا أنتِ يـا دنيـا أرؤيا حالمٍ

أم ليلُ عرسٍ أم بسـاطُ سلافي

نعمائـكِ الريحـانُ إلا أنـه

مسّت حواشيه نقيعُ زعافـي

فصبراً يا أستاذ محمد رضا ويا عبدالله على ما أصابكما، كما أني أتقدم بتعازيَّ الحارة إليكما وآل نصر الله وآل أبو السعود وآل بيات وأخصّ صنوه الحاج أحمد حسن نصرالله، ربط الله على قلوبكم بالصبر وخلف عليكم والله مجزي الصابرين.

فصبراً يا أستاذ محمد رضا ويا عبدالله على ما أصابكما، كما أني أتقدم بتعازيَّ الحارة إليكما وآل نصر الله وآل أبو السعود وآل بيات وأخصّ صنوه الحاج أحمد حسن نصرالله، ربط الله على قلوبكم بالصبر وخلف عليكم والله مجزي الصابرين.

1426/11/27هـ

2005/12/29م



توديع وترحيب

هل المرءُ يعيشُ في رؤية حالمة أم في يقظة واقعية أم هو يغطّ في ثبات عميق، وفي ميدان دنيا لاهثة لا يشعر بمن حوله غير المادة التي تخطف بعض القلوب وتميت تلك الضمائر. إنَّ المرء يعيش على هذا الكوكب وأكثر بني الإنسان لا يفكرون ولا يحفلون بغير المادة.. المادة التي تميت الضمائر وتزرع في طريق الإنسان الشوك الذي يتناثر ويغرسه بيده في دروبه وهو لا يحسّ إلا بتلك المادة.. المادة التي غرق فيها إلى شحمتيه أذنيه.

ينطوي يومه وينتهي ليله وهو قلق النفس متعب الضمير منهك الجسد لا يتذوق لذّة نعم الله التي نثرت بين يديه وغطّت جوانب حياته، فهو لا يعيش ليأكل بل يأكل ليعيش، إنما يعيش ليجمع حطاماً فانياً لا يستفيد منه في دنياه ولا أخراه شيئاً. ينطوي النهار فيجيء بيته في هزيع متأخر من الليل لا يعرف شيئاً من حياة أبنائه ولا يستلذ

بحياة عائلية يسعد بها وهو لا يعلم ماذا يفاجئه مما هو مخبوء في صفحات غده من أخطار أو خير أو شرّ.

يأتي إلى بيته وزوجه قد هدّها التعب من طول انتظارها وسهرها لترقب قدوم زوجها فتسأم لطول ذلك الوقت الذي فيه تنتظر ذلك الزوج لعله يداعبها ببسمة فينسيها آلام الحياة. إنه لا يدري بتلك الزوج، فهو منهك الجسم متعب الروح يريد أن يلقي بنفسه على ذلك السرير لينهب غفوة لعلّها تريحه من التعب ليستعيد صحوته ليهب إلى ميدان المادة، إنه لا يفكر في شيءٍ غير المادة.

تنطوي الأيام والأشهر وفيها صراع.. صراع البشرية الذين سيدلفون عن هذه الحياة إلى الاخرة الباقية وهو لم يدُر في خلده أنَّ أشباح الغروب تلاحقه وهو سادرٌ في لهفة لا يروى منها. فالحياة هي كالبحر، كلّما شرب منها ازداد ظمأً. انطوى العام وهو لا يحسّ بانطوائه، إنه لم يفكر يوماً ما في هذه العبر التي يشاهدها صباحاً ومساء. مسكين أيها الإنسان، ألا تفيق من هذه السكرة وتصحو على جرس الإنذار الذي في كلّ لحظة ينذر الإنسان بالرحيل، فمتى نصحو ومتى نشعر بهذه العبر عندما يفاجئنا ذلك الغروب فنندم ولات ساعة مندم.

عجيبٌ سير هذه الحياة وسير الإنسان، إنك تقف حائراً وأنت تودع عام ألف وأربعمئة وستة وعشرين، تودع عام ألفين وخمسة ميلادياً، فقد توافق انطوائهما في زمن قريب يفصل بين العامين شهر أو ثلاثون يوماً. إنَّ هذا الامتزاج الغريب بين التقاء العامين وافتراقهما وإطلالة عام جديد يفتح للبشرية ويجدوا في سير الحياة التي لا تتوقف ولا

تنطفئ إلا عندما يشاء خالقها ومبدعها ربّ السماوات والأرض، يوم تنسف الأرض وتبدّل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء، يوم تقوم القيامة فتنطوي هذه الحياة وتخمد تلك الحركة، عامٌ ينطوي وقد مرّ فيه آمالٌ وأحلامٌ وذبلت فيه أمانٍ زرعها بعض البشر إلا أنها ماتت كما ماتت أيامها وهو ينظر إليها بتفجعٍ لا يستطيع على إحيائها أو ردّها.

لقد انطوى في عام ألفين وخمسة أو قل عام ستة وعشرين بعد الأربعمئة والألف هجري مصارع بشر انطووا من هذه الحياة كأنهم لم يعيشوها ولم يمروا بها، وأشرق في أفقه فجر مواليد من بني الإنسان يتفتحون كما يتفتح الورد لنسائم الصباح، يملؤهم الأمل الأخضر ولا يدرون بماذا يفاجئهم العام الجديد الذي لا يقرؤون ما في أسفاره من أسرار، خيرٍ أو شرٍّ أو حياة أو موت، لا يعرف الإنسان متى يغرب طيفه، ومتى يغادر هذه الحياة، فهو يعيش على موجة تسير به إلى مصرعه الأخير.

فوداعاً أيّها العام الذي انطويت وغادرتنا ولفَّك الزمن الماضي وراء جدران الحياة ليطلّ عام جديد تنفتح فيه الحياة وتطلّ منه أحلام ورؤًى يزرعها الإنسان في حياته المستقبلية وهو لا يعرف ماذا يجني من تلك الآمال المخضوضرة.

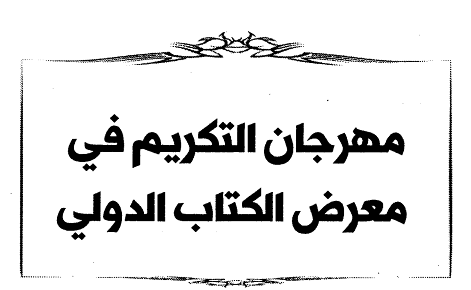
فوداعاً أيّها العام، فقد انطويت كطيِّ السجل للكتب وفيك أحلام تبرعمت وأثمرت، وفيك أحلام وآمال تبعثرت وفرّت من أصحابها كما يفرّ حُلُمٌ من عين نائم، وفيك مصارع أحباب وإخوان رحلوا عن هذه الدنيا الفانية، وهذه سنة الحياة لا تبديل لها وبين مولدهم ومصرعهم،

أيام قد تطول وقد تقصر ولكنَّ النهاية المحتومة لا بُدّ من خاتمة تدلفك إلى هذه النهاية وكلّ بشر وجد على هذا الكوكب، فمن كان مطيعاً لله ولرسوله فهو في مستقبل سعيد وحياة هنيئة راغدة ورضوان من الله أكبر، ومن يعصِ الله ورسوله فأمامه نار جهنم، وأعوذ بالله من نار جهنم.

إنَّ المرء يعيش بين سعادة أو شقاوة وقد بصّره خالقه الطريق، فإما شكوراً وإما كفوراً، وداعاً أيها العام بما فيك من آلام وأحلام وأفراح وأحزان، وداعاً فقد سُلِخْتَ من أعمارنا وطويت ساعات أو أشهر من حياتنا، وكلّ يوم يمرّ على الإنسان وليس فيه معصية لخالقه فهو من أسعد الأعياد، وكلّ يوم يمرّ على الإنسان وهو في معصية الله فهو من أشقى الأشقياء وأتعس التعساء، وداعاً أيها العام وأنت تكاد أن تنطوي أيامك إلا بضعة أيام ليطلّ علينا العام الجديد عام سبعة وعشرين بعد الأربعمئة والألف، فمرحباً بهذا العام، نسأل الله أن يجعله عاماً سعيداً على بني الإنسانية على أبناء هذا الكوكب ليعيشوا في سلام وأمنٍ وطاعة لخالقهم، فأهلاً بك أيها العام ومرحباً، نسأل الخالق أن يوفقنا في هذا العام لما يحبّه ويرضاه، فوداعاً أيّها العام الذي انطويت وسلام عليك ومرحباً بعامنا الجديد آملين فيه أن نجني ما فيه من آمال خيَّرة وأضواء نيَّرة فمرحباً بك قدمت خير مقدم.

1426/12/28هـ

2006/01/28م



مهرجان التكريم في معرض الكتاب الدولي

إنَّ للفكر إنبثاقاتٍ ضوئية كانبثاقات ضوء الصباح فينير للعيون ما في الحياة المادية، ولكنَّ الانبثاقات الفكرية تضيء للأفكار في عتمات الجهل والشكوك والريب، وترشد الأجيال في مسيرة الحياة الطويلة حتى يشاء الله أن يطوي هذه الأرض كما يطوى السجل للكتب، أو كما تطوى أيامنا من أعمارنا.

إنَّ للفكر دوراً في الحياة البشرية ولولا الفكر لما مُيز الإنسان من الوحش، فالإنسان تميز عن جميع مخلوقات الله بهذا العقل الذي أودعه الله فيه مصباحاً يرشده ويدله على الخير إن استعمله تغلب المراء على هواه:

فآفة العقل الهوى ومن علا ... على هواه قد علا

فالعقل هو الجوهر الذي يرشد الإنسان للتفكير في هذه الحياة ويبتدع العجائب والغرائب، وهو مخلوق من فاطر السماوات والأرض،

فعندما يفقد المرء هذا الجوهر تراه يعود كحيوان بل هو أضلّ منه، لا يفرق بين النهار والليل، ولا يمّيز بين الجوهر والفحم، بل لا يعرف شيئاً من حياته الماضية أو من يومه الحاضر، فهو يعيش في دنيا الأموات وإن كان حيًّا، حتى الوحش يدرك ما لا يدركه هذا المصاب بعقله، فالعقل هو النبراس للإنسان، ولولا العقل لكانت الوحوش أفضل من الإنسان، فهذه نعمة من خالقنا منَّ بها على الإنسان فصار إنساناً يزرع ويعمر، وسابح الحيتان في البحور وسابق الطيور في الجو وابتدع ما يبهر العيون ويحيّر العقول.

فالحاسوب والإنترنت والتلفاز والمذياع والكهرباء معجزة حضارة هذا العصر هي وليدة هذا العقل الذي انبثقت منه عندما سخر الإنسان هذا الجوهر فأنتج هذه المبدعات فطوَّر العالم وقلب الحياة رأساً على عقب.

كان الإنسان يستعمل الشموع للإنارة ويكتب حرفه على جلدٍ من الأدم ويأكل في طبق من الفخار وهذا بعد أن تطور الإنسان واجتاز العصر الحجري وتركه وراء ظهره. فإذا بالحياة تفاجئ أهلها بنعيم وحضارة تذلل للإنسان المصاعب وتحوله إلى دنيا من الترف يقطع الدنيا في ساعات، وكان يقطعها في شهور وأعوام طويلة. كلّ شيء تغير في حياة هذا الإنسان العصري الجديد، إذاً فيحسن بنا أن نكرِّم هذا الفكر وأن نشيد به وأن نشجع أصحابه على المضي في هذه المسيرة ولا نختصر تكريمنا على المفكرين المخترعين الذين اخترعوا لنا المنجزات الحديثة التي انبثقت من حضارة هذا الفكر، بل نكرم كلّ مفكر أسهم بعقله سواء كان بميدان الصناعات الفكرية والمهنية

أو الاختراعات الحرفية، فالحرف له مجاله في حياة الإنسان فبه لغة التخاطب وبه تتفاهم الأرواح، والأجساد وبه تقضى الحاجات ولولا الحرف لما استطعنا أن نعيش، وأن نتحابّ وأن نتفاهم في هذه الحياة فله الدور الكبير والفضل في حياتنا وعيشتنا فبه نترجم لغة الحب ونقضي به كلّ مأرب.

كم كان للحرف سابقة فضلٍ على هذا الإنسان منذ خلق الله آدم وأهبطه في هذه الحياة كلّ فرد لا يستطيع أن يعيش مع أخيه أو صاحبته أو بنيه أو مع أيّ فرد من جنسه إلا بلغة الحرف وإن اختلفت اللغات ولكنَّ طريقها وأداتها التعبيرية الحرف.

إذاً فالحرف هو الحياة، والحياة الحرف، فلا حياة بدون حرف؛ لأننا لا نستطيع أن نصل إلى مرادنا ورغباتنا إلا بأداة الحرف، فالإنسان منذ وجد على هذا الكوكب كان له حاجة ملحة وهي لغة التخاطب والتفاهم بينه وبين من يعايشه بلغة واضحة تترجم رغبتهما وحاجتهما، غير أنّها تطورت مع تطور الإنسان وكان العقل هو المنار لتطويرها وتحديثها، واستعمل الحرف ليترجم فيه أحاسيسه، ومشاعره سواء كان عن طريق التحدث أو الكتابة، فهو مرآة للعقل تنعكس عليه عواطف الإنسان وخلجاته.

فالحرف كان مع الإنسان منذ فجره الأول يعبر به في لغات شتى، وفي خلجات متلونة يسير مع تطور البشرية وتطور الثقافة، فلولا الحرف لضاعت معالمنا الحضارية، وعفا على تاريخنا ضباب النسيان وضاع في حجرة العدم وراح تحت أنقاض الزمن الغابر ولكنَّ الحرف

ترجم لنا هذه المعالم وأبان لنا الحياة الماضية في صفحات مشرقات تزهو حروفها في صفحات التاريخ، فكلّما أحببنا أن نسامر المفكرين القدامى أو المحدثين في عصرنا إلى هذه الأفكار في نادٍ روحيٍ من الفكر والأدب نعود لتلك الصفحات فنأخذ منها العِبرة والعَبرة.

فالتاريخ حافل بالقصص التي هي دروس للأجيال وتسير على ضوئها في مدلهمات الحياة، فالحرف على مسيرة الإنسان الطويلة منذ فجره الأول حتى يومنا هذا هو الأداة التي تترجم لغتنا، ولا نستغني عن الحرف ثانية واحدة، فالحرف يكاد أن يكون للإنسان كالغذاء والشراب، إذا كان يستغني عن الغذاء جسمه فتستغني روحه عن الحرف.

وتوطئتي لهذا المدخل لأدخل منه إلى حياة كُرِّمَ فيها أصحاب الحرف، وهذه أول بادرة تشجيعية تحدث في مملكتنا الفتية من القمم الكبار على مستوى صعيد رسمي وشعبي، وأفقٍ ثقافي يجمع بينهما مظلة واحدة، فهو حدث إيقاعي جديد في دنيا الفكر. فقد كان هذا التكريم للرواد من المفكرين السعوديين قد رعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز وأناب عنه في افتتاحه شقيقه سمو الأمير سطام نائب أمير الرياض، والتي قامت بهذا الحفل وزارة التعليم العالي، فكانت بادرة كريمة والتفاتة لم تسبق لها في مملكتنا سابقة، فآمل أن تتكرر في كلّ عام، وأن تتكرر تكريم المفكرين الآخرين.

وكانت مناسبة مزدوجة حيث كرّم الرواد في افتتاح معرض الكتاب الدولي بالرياض وكان الحفل في بهوه حيث تلقيتُ دعوة تكريمية من معالي وزير التعليم العالي لحضوري لمدينة الرياض فيها تحديد موعد

التكريم مساء الأربعاء ليلة الخميس 1427/1/23هـ الموافق 2006/2/22م. فسافرت تلبية لهذه الدعوة مع ابني نبيه مرافقاً لي على جناح الطائرة ووصلنا مدينة الرياض فكان لنا استقبال رسمي رائع وحفاوة منقطعة النظير، وفي مساء اليوم نفسه أقيم الاحتفال وكان فيه التكريم، وقد منحنا كلّ واحد من الرواد المفكرين ميدالية ذهبية كتب عليها اسم المكرّم ودرع من الكريستال كتب عليه الاسم وشهادة تقديرية للإسهام في الحركة الأدبية.

كما أصدرت الوزارة كتاباً يتضمن حياة الرواد الذين كرموا يحتوي على صورة الرائد وتعريفاً بسيرته وحياته في حرف مقتضب، وما قام به الرائد من إصدارات كتبه وأسهم بها في الحركة الفكرية السعودية وما زرعه من حرف أخضر كورود تضوع للأجيال وما سرجه من مصابيح في محراب الفكر تضيء في عتمة الليل ليسير عليها جيل بعد جيل وتنهج عليها أمة بعد أمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا من فضل إرادة الخالق ومشيئته، ونسأله النجاح والتوفيق لكلّ مفكرٍ يحاول الإسهام في تخليد وطنه ورفع أمجاده منائرَ تسطع في دنيا العلم والأدب.

1427/2/6هـ

2006/3/6م





زيف التاريخ

نشرت بمجلة الواحة، العدد الرابع والأربعون ـ السنة الثالثة عشرة ـ الربع الأول 2007**م.**

إنَّ زيف التاريخ منذ فجر الإنسان الأول حينما فتَّحَ جفنه تحت أضواء الكوكب المضيء، ودرج فوق كوكب الأرض وتفتحت له عواطفه وأفكاره واستعان على حياته بأدوات توصله إلى أمانيه، وذلك بفضل العقل الذي أودعه الله جوهراً فيه، وميّزه بهذا الجوهر عن الحيوان، وجعل له نفساً ناطقة تفكر وتعمل على ضوء تفكيرها، وعندما ملك بما منّ الله عليه هذه الحياة، وما فيها من ألوان النِّعَمْ، التي تفننت طبائعها، وصورها، وألوانها تنعكس أمامه يتخير منها ما شاء.

بدأ هذا الإنسان يتمرد ويزيِّف ما كتبه من التاريخ ولم يكن جديداً على هذه البشرية بل منذ تمرد هذا الإنسان، وبدأ يغرّه شبابه وأَيْدَه، والنعم التي أسبغها الله عليه. ومن أفضل النعم بعد العقل والإسلام هي

نعمة القلم، القلم الذي يسجل كلّ خلجة وفكرة تدور في تفكير الإنسان فيرسمها فكرة تتجسد في سفرٍ يقرؤه أجياله، والأجيال التي بعده إن قدَّر الله لهذه الفكرة الخلود، فالقلم نعمة من الله على البشرية، وما أكثر نعمه على عبيده، فلولا القلم لضاع التاريخ وراء جدار العدم، ولُفَّتْ الحياة وراء المجهول، ولكنَّ هذا القلم الذي يستمدُّ من أضواء الفكر هو الذي حفظ لنا الحياة التاريخية والقرون الأُوَلْ، وما فيها من دروب ألوان الخير والشر، والجميل والقبيح، فنقرأ التاريخ بلهفة؛ وشوق إلى أجيالنا والقرون السابقة، فكأننا نعيش معهم على صعيد واحد.

إلا أنه- يا للأسف- أخذ بعض من يحمل الأقلام، ويسجلون التاريخ كسجل وثيقة فيها الأمانة والحرف المستقيم الذي يسير على الحقيقة الواضحة انحرفوا كلّ الانحراف عن الحقيقة، وصاروا يكتبون ما يمليه عليهم سلطان ذلك العصر أو ما يمليه عليهم العسجد الوهَّاج، أو العواطف أو العصبية المذهبية، فأصبح تاريخنا الماضي مشوهة بعض صوره مندسَّةً في حروفه بعض الخرافات، وبعض الأكاذيب، كلّ ذلك في سبيل إرضاء شهوة المؤرخ، أو إملاء حياته بثروة زائلة، فالمادة هي التي أعشت الأبصار فحرَّفت التاريخ عن مساره الحقيقي، وليتنا انتهينا، ولم نواصل المسيرة الزيفية للتاريخ، ولا تنسَ ما قام به اليهود من دَّسٍ وزيفٍ في هذا التاريخ، فتمدد في حروفه كأطيافٍ يقرؤها بعضنا كحقيقة واقعية في التاريخ، فالحاضر مرآة للماضي.

إنني أقرأ في بعض الإصدارات الجديدة أو في الصحف العالمية أو الصحف العربية أو على شبكة الإنترنت فأرى في تلك السطور حروفاً

تكاد تخجل من كاتبها، حيث إنّ كاتبها سجلها من حياة كاذبة كلها زيف، ولا أريد أن أعلق على ما أقرأه في الإصدارات الجديدة لبعض المعاصرين الذين كتبوا لعاطفتهم، وتعصبوا لأشخاصٍ سواء كانوا نكرات أو معارف، ولكنَّ النقطة الحقيقية التي غطوا عليها هي إغماط إعلامٍ تركوا بصماتهم على صفحات التاريخ حاولوا دفنهم وراء جدران العدم والنسيان، إلا أنهم انتفضوا، فاطمسوا محاولاتهم، وسطعوا شموساً تبدد الضباب الذي أراد ذلك المؤرخ أو ذاك الكاتب تكثيف هذا الضباب حول تلك الشخصيات لعاطفة جامحة، ولكنه يبوء بالفشل ويتبدد ذلك الضباب، حيث إنّ من يصنع التاريخ وينشئ ما فيه من حركة تتحرك مع إشراقة الفجر، وتتجدد كتجدد الشمس للحياة لا نستطيع على إغراقه في بحر النسيان.

إنَّ حركة التاريخ هي كالغربال عندما تتحرك يسقط من ذلك الغربال الزوان وتبقى الحبوب ثابتاً، وليس جديداً هذه الميول الصارخة أو العواطف الجامحة التي تؤرخ حسبما تمليه على ذلك اليراع الخرع، فيجيء التاريخ صفحة مشوهة، قد أطمست فيها الحقيقة، وغاب منها الإنصاف، ومات في حرفها الضمير.

فإلى متى تصحو هذه الضمائر، وتتحرك وتكتب التاريخ من واقع الحقيقة لا من الزيف الذي يرفضه كلّ عاشق للحقيقة، وينشدها كلّ منشدٍ لضالته الضائعة حتى نقرأ صفحات تاريخنا بيضاء مشرقة كضوء القمر وهو يتلألأ في مياه الغدير، ونعشق حروفه في تألقٍ ومحبة، نقرأها في لهفة وشوق وندرسها بتفكير واستقلالية حتى نعيش في

عيشة استقلالية لا ترتبط بأفكار مسخرة، أو بعواطف جامحة، أو ميول مستأجرة.

1427/7/18هـ

/2006/8/12م





الذكرى الرابعة والستون

لقد دار بنا هذا الكوكب الذي نعيش على ظهره تحت أشعة الشمس وتحت ظلال الأشهر الهلالية أربعة وستين عاماً، وبالتوقيت الزوالي دار بنا اثنين وستين عاماً. وفي طيات هذه الدورات مصارع وأحداث وبلايا تمرّ بنا ونحن نسير على مسرح الحياة في كلّ يوم، بل في كلّ لحظة نشاهد صوراً فيها تباين وتفارق ومتناقضات تمرّ على مسرح هذه الحياة تمثّل في ميدانها ثم تغيب وراء جدار التاريخ. وقد تبقى صور منها للذكرى أو تكون مشعلاً يستضيء بضوئه الأجيال والمفكرون، فالحياة هي غربال للبشرية، يسقط من ذلك الغربال الزوان ويبقى الحَب، فالبشرية تمرُّ في غربال دقيق ليس كغربلة الحنطة إنما هو صراع وابتلاء تصارع فيه البشرية هذه الحياة في حرب لا هوادة فيها حتى تسكن وتهدأ تلك الحركة ويبوخ ذلك البريق ويسكت ذلك القلب صمتاً نهائياً لا حركة له من بعد تلك الحركة إلا يوم يبعثه الله إلى دنيا البقاء، دنيا الجزاء.

فهناك يقطف ما زرع، إن ورداً فورد، وإن شوكاً فشوك، فجروح الأيام والليالي جروح فاغرة عميقة يصارعها الإنسان في بوتقة اختبارية، وكثيراً ما تخددهم الجروح وتقعد بهم، فلا يستطيعون أن يقاوموا تلك الأحداث أو البلايا، فقد يؤدي بهم إلى الانتحار أو لليأس القاتل فيموت وهو حيٌّ، ولا ينجو من هذه الجروح والبلايا، تقتل من أصابته إلا من تسلح بالإيمان وآمن بالله ورسوله ورضي بقضائه وقدره، ولو فاض قلبه دمعة ولكنها دمعة فيها ترويح عن المكروب وشكوى لخالقه ليمسح ذلك الجرح العميق.

وما هذه الأحرف التي انبعثت لتتجسد على هذا الورق إلا ذكرى تعيش في قلبي صورها وتمرّ مناظرها أمام عيني مسلسلة منذ حدوثها على صعيد الواقع حتى هذا العام وإلى ما يشاء الله وكأني أرى حدثها ومصرعها يمرّ شريطاً في عيني وقلبي حتى أكاد ألمسها بيدي.

وبرغم تقادمها الزمني فقد لفَّها التاريخ بين طياته أحداثاً جساماً وموت أحبّة وتغيرات في هذه الحياة ودكت فيها عروش وقامت عروش، والحياة تمرّ حركتها لا تتوقف لأحداث أو لتغيرات أو لهلاك ملوك واستخلاف آخرين، كلّ ذلك يسير سيراً دقيقاً بمشيئة من خالق السماوات والأرض وكونها وأبدعها بنظام ودقة لا يستطيع عقل بشرٍ أن يصل إلى أسرار هذا الإبداع، فالله الواحد الذي لا شريك له في ملكه وتصرفه.

ولعلّي خرجت عن مسار ما كتبته من هذه الحروف وهي الذكرى

التي تلاحقني ما دمتُ حياً، ذكرى موت أبي.. أبي هو الذي ربّاني وعلمني وأنعم عليَّ، فشكر الوالدين وبرهما أمرٌ مولوي من خالقنا، فكان عليَّ بمناسبة مرور ذكرى وفاته التي تصادف ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة عام ثلاثة وستين الموافق السادس من نوفمبر عام ألف وتسعمئة وأربعة وأربعين ميلادياً، أن ألمَّ ولو إلمامة الجزع في ذكرى أبي التي دار عليها هذا الكوكب كما أسلفنا سابقاً أربعة وستين عاماً، وهي كأنها بالأمسِ لم تتغيّر في قلبي وعيني؛ للفراغ الذي تركه هذا العالم الجليل والمفكر العظيم في ميدان وطنه حيث لم يشغله بعد رحيله أحد ولو زاوية من زوايا تلك الحياة التي تفيض بالخير العميم على وطنه دون تفريق بين البعيد والقريب أو ذي رحمٍ أو قصيّ.

ولكنّ هذا العام يتميز بجروح خددها الزمان ومرّ عليَّ بكلكله في أحداثٍ جسيمة وبلايا مرّة جددت ذكراك يا أبي، ولم تكن كالأعوام السابقة حيث وقع في هذا العام على قلبي حدث يكاد يهدُّ الجبال لولا رحمة الله، فقد فقدتُ يا أبي فلذةً من فلذاتك الذي هو غصن مخضوضر في ربيع حياته، هو ابنك رسول، العزيز عليك الذي كنت تحيطه بقلبك وعينك، ولم يتمتع بفيء ظلك ولم يشرب من حنان جدولك حيث رحلت عنه وهو برعمٌ في كمّه لم يتجاوز سنّ الطفولة أربع سنوات وثلاثة شهور فتركته زر وردٍ يحتاج إلى طاقات من ضوء الشمس، وإلى عناية يدٍ بارّة رحيمة.

فمنّ الله عليه بفضلٍ منه، فعاش تحت رعاية خالقه ورعايتي حتى

اشتدَّ عوده وبلغ مبلغ الرجولة فزوجته فكان لفقده المفاجئ لطمة عنيفة لقلبي وحسرة والهةً لولا أن تداركنيَ الله بلطفه وهو أرحم الراحمين، فهل استقبلت فلذتك بالورود والرياحين، حيث كان لموته جروح عميقة في قلبي؛ ليس لموته، فالموت محتم علينا، لكنه فوجئنا بموته ولم يدُر في خلدنا أن يرحل مبكراً في لحظةٍ يخبو كما يخبو الضوء في ربيع حياته، ونعود من تربته نافضين الأكف يائسين من عودته.

هذا أعظم جرحٍ مرّ في حياتي هذا العام، ليلة السابع والعشرين من شعبان من عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين هجرياً الموافق العشرين من شهر سبتمبر عام ألفين وستة ميلادياً، فودَّعناه بالحسرات ورجعنا نفوّض أمرنا إلى الله، ولا أريد يا أبتي أن أطيل عليك فأشرح إليك ما اكتنفني في هذه الأعوام الطويلة من بلايا وأحداث، فالمرءُ في هذه الحياة بيت شِعرٍ، في كلّ حرف من ذلك البيت مصائب، ونهاية القافية دربٌ من القبر، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

أما ذكراك يا أبي فستبقى خالدة حرفاً يتسلسل في أسفار كرستَ أفكارك وطبعتها في تلك الحروف التي ذوبت فكرك أنهاراً تتسلسل بالأضواء تضيء للعلماء والمفكرين وفي تلاميذك النجباء، وعندما يطوي الزمن طلابك؛ لأنّ الخلود لله، ستبقى كتبك حرفاً تنير في عتمة الحياة، ومن صدف الظواهر التاريخية أن تمرّ ذكراك في هذا الشهر ذي القعدة في ليلة الأربعاء من الواحد والعشرين ذي القعدة العام الذي غادرت هذه الحياة.

فسلامٌ عليك يوم مت ويوم تبعث حيًّا وهنيئاً لك بما قدمت من أعمال خيرية وحياة فكرية تعيش مع الأجيال، جمعنا الله وإيَّاك في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظله وحشرنا الله مع النبي ﷺ وآله الأئمة الأطهار.

1427/11/21هـ

2006/12/12م





هل الحياة آمالٌ أم آلام؟

عندما يدير المفكر فكره في صفحات هذه الحياة ويتأمل في مفارقاتها وتغيراتها ومغيراتها، وما يندرسُ وما يجدُّ فيها وما يتعاقب فيها من ليل ونهار، لا يسبق الليل النهار ولا يقفان بل هما حركتان دائبتان لا تعرفُ التفتير. وعندما يدرس بفكر عميق ويتأمل هذا الكون الذي فيه من الإبداع والفن النظامي وهذه الاستقامة التنظيمية التي لا يطرأ عليها خلل أو تغير أو تبدُّل يؤمن بأنَّ لها خالقاً واحداً لا شريك له ولا معين له، ولو كان هناك شريك له لاختلّ نظام هذا الكون وذهب كلّ إلهٍ بما خلق، ولكنَّ هذه الاستقامة التنظيمية نفت الشراكة وأثبتت لا إله إلا الله وحده.. وحده لا شريك له ولا ظهير له، فهو المدبر والمنشئ والمحيي والمميت والرازق بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ولكنَّ الإنسان الجحود غير الشكور لهذه النعم المفاضة عليه من خالقه يتنكر في هذه الحياة ويعيش بعيداً كلّ البعد عن رازقه ويعصيه كلّ العصيان وينسلخ من طاعة ربه إلى طاعة الشيطان، فمن وفقه الله إلى أداء طاعة الله وشكره على نعمه فقد فاز فوزاً كبيراً، وهنا نريد أن

نتفلسف في هذه الحياة بعد هذه التوطئة الموجزة، فهل الحياة آمالٌ مخضوضرة وطموحات يعيش بها المرء على هذا الكوكب، أم الحياة آلامٌ تبعث تلك الآلام أحداثاً وبلايا تحيط بالإنسان من جهاته الستّ، فحيثما سار يسير معه الخطر لولا حراسة وعناية من الله تحرسه وتكلؤه؟

لا شك أنّ المرء تتولد في آفاق نفسه آمالٌ يزرعها وروداً في طريقه، وأحلام تبعثه على حبّ الحياة والتعلق بأهدابها والسير في أخطارها حتى النفس الأخير، ولكنَّ البلايا والآلام قد تحول بينه وبين طموحاته وآماله فتوقفه عن تلك الطموحات، وقد تنزله من القمة إلى السفح ولكنه لا يفكر، فيرجع من قريب أو بعيد إلى ربه فيبث له بلواه في كلمات دعاءٍ تفيض ضراعة وخشوعاً من أدعية آل الرسول التي هي كالبلسم لجروح الإنسان، فالدعاء هو السلاح للعبد عندما يناجي خالقه في نجوى صادقة من قلب خاشع صادق فيأخذ تأثيره؛ لأنّ الله هو أكرم الكرماء ولا يرد سائلاً سأله ولا يخيب آملٌ جاءه.

وما يمرّ على الإنسان من أحداث وبلايا كفقد الأحبّة وأمراض قد تقعد به أو بأحبائّه فيظنّ لا دواء لهذه الجروح عندما يفتش في الصيدليات فلا يجد دواءً لذلك ولكنه سيجده في كلمات دعاء ندَّت من شفة نبي الرحمة أو آله عليه وعليهم الصلاة والسلام، سيجد هذا الدواء الذي يضمّد جرحه ويشفيه من هذا البلاء الذي أحاط به وتركه خلقاً صريع هموم لا يكاد أن يداعب جفنه أصابع النوم وهو سهران، قلق يعيش في أتون جاحم وليل مرير مبطن بالشقاء والعناء، وحينما يتناول منه بعض الكلمات بصدق وحرارة وعقيدة وإيمان سيجد تأثير ذلك الدواء في ذلك الداء، إنه يأخذ هذا الدواء من كلمات عباد مكرمين (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يفعلون).

فالآمال والآلام تتصارعان في حياة الإنسان تصارعاً مخيفاً كلٌّ يريد أن يصرع الآخر ولا ينجو من صراعهما إلا من عرف الإيمان وعمل بالأركان وطبق ما في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله (ص) وتعاليم آله، فهنا يكون الإنسان قوياً عزيزاً لا تهمه بلايا الحياة ولا تشغله زينتها فحياته مملوءة بذكر الله وجوارحه عابقة بتسبيح الله وقلبه يفيض بالإيمان بالله فهو في سعادة يمسي ويصبح هانئ العيش قرير العين ضاحك الثغر.

أما من تصرعه الآمال وطموحات الحياة ويبتعد عن طاعة الله فهو قلق الفؤاد يعيش على جناح حياة جاحمة لا يكاد أن يهدأ أو يرتوي من هذه الحياة؛ لأنّ الحياة بحرٌ، كلّما شرب من مائها عطش لمائها واعترته لهفةٌ جنونية إلى حطامها الذي سوف يتركه بعد أن يفارق هذه الحياة أو يتركه ذلك الحطام وهو حيّ ينظر إليه فيعيش في حياة مجدبة كأنه لم يمر بربيعها ولم يستاف من أزهارها، هكذا الحياة يعيش المرء على هذا الكوكب بين خطين متضاربين والفائز من انتصر على نفسه وخضَّعها لطاعة الله، هكذا الحياة وهكذا الإنسان، نسأل المولى الكريم أن ينجينا من مخاطر هذا الحياة وأن يوفقنا إلى هديه وطاعته، فهذا فيض من لطفه وتفضل من كرمه.

1427/11/23هـ

2006/12/14م



وداع وتحية

إيه عام السابع والعشرين، أيها العام، لقد مررتَ مرور الخيال، وانطويت كطي السجل للكتاب، أو كموجة نور أشرقت ثم اختفت وراء اللامحدود، أيها العام المنصرم، أنتَ تتكون من ليالٍ وأيام وتتقسم إلى أجزاء من آنات ودقائق وثوانٍ، ومنها تتألف الساعات ويطلق عليك الزمن الماضي أو العام الماضي، كلها أسماءٌ عندما تنتهي لا تجدي بشيءٍ، إنما مررت كمرور الطيف وانطويت كطي البرق، وعلى حواشيك مصارع وأحداثٌ وابتساماتٌ ودموع وأفراح ومآتم، كلّ هذه مرت في أيامك ولياليك وحوتها صفحاتك ولكنها انطوت مع أيامك ولفت معك كما لفّ الزمن الذي قبلك، فأنتَ عامٌ ثقيل الخطى، مررت على حياتي بصورة شوهاء وحدث مُرٍّ فأنت عام الكآبة.. عام الحزن، في صفحاتك ضروبٌ من ألوان البلايا.

أيها العام إن قسوت عليَّ فما أنت بدافع عني ضراً أو جالباً لي نفعاً، لكنك عامٌ فيك ذكرى مريرة أمرُّ من المُر، ذكرى أحبابٍ غادروا هذه

الحياة في أيامك ومتقاربةٍ مصارعهم في أجزائك، فكنتَ صفحة من صفحات الأسى التي يحبُّرها ليلٌ من حزنٍ طويل، فإنّ الأحباب لا تنسى، ولولا فيض الله على العبد من رحمته ولطفه لعاش في عيشةٍ كئيبة لا يكاد أن يتحرك في الحياة بل يكون عاطلاً.

وليس بالهيّن أن يفقد الشخص أخاه أو زوجته التي هي رفيقة العمر التي أفضت له بكلّ ما عندها من حبّ وأسرار ومنحته قلبها وأفضى زوجها لها بكلّ ما عنده من حبّ وأسرار ووهبها قلبه وحياته وفرش لها الحياة بالورد والريحان. إنّ هذه الأحداث لا تكاد أن تمرّ على الشخص حتى تعصره وتكاد أن تصرعه، ولكنَّ الإيمان بالله وبما أنزل من آياتٍ قرآنية إنها صيدلية فيها أنجع العلاج والشفاء الذي يبرئ الأسقام ففيك أيها العام كانت مصارع أحباب فكان مصرع أخي رسول (أبا نسيم) في يوم من أيامك وبالتحديد ليلة السابع والعشرين من شهر شعبان 1427هـ الموافق العشرين من سبتمبر عام 2006 فكان لمصرعه حزنٌ عميق في قلبي كدَّر حياتي وبطنها بليل حزنٍ كئيب.

فهو ركن من أركانٍ قد انهدم؛ لأنّ الأخ هو سنادٌ وركيزة في الحياة يرتكز عليها أخوه، فإذا انهارت الركيزة كاد البيت أن يهوي ساجداً إلى الأرض لولا لطف الله وسيبه على ذلك المجروح فيمسح على جرحه ويسكب على روحه الصبر، فمصيبة فقد الأخ أو الزوجة أو الأب أو الأم أو أيّ حبيب من الأحباب لا تمرّ مرور النسمات، إنما تمرّ على قلب الحبيب الفاقد مرور العواصف التي تشبه السموم.

ليس بالهين على الفاقد أن يرى أخاه أو حبيبه أمام عينيه جثة

هامدة صامتة ثم يضعه في القبر ويهيل عليه التراب ثم يعود صفر اليدين. هذه مصيبة فظيعة على قلب الشخص، ولكنَّ الله بألطافه ورحمته يعوضه عندما يفوض أمره إلى مالك الملك وينزل عليه السكينة فيعيده إلى حياته إلى قبل الفقد فكأنه لم يفقد ذلك الحبيب؛ لأنه سوف يتبعه ويصير إلى ما صار إليه، فلا إله إلا هو مالك الملك يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير.

فهنا البلسم الذي يصب على الجروح فيضمّدها فتعود إلى سيرتها الأولى، وأنا مثالٌ لهذه المقولة، فإنّ ربي ألهمني الصبر، عوضني ومسح على ذلك الجرح الفاغر؛ لأنّ فقد الأخ مصيبة كبرى تهدّ الأركان وتضعضع الشقيق في مصاب شقيقه، وعندما هدأت ثورة الحزن ومصيبة الفقد وبعد ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً اختطفت مني زوجيَ الحنونة خاتون بنت الشيخ محمد صالح المبارك في صبيحة الخميس يوم 1427/12/21هـ الموافق 2007/1/11م.

فليس من الهيِّن أن تمرّ هاتان الكارثتان على شخص لو لم يكن له إيمان له لوقع في هاويةٍ مظلمة، وكثيراً من هؤلاء الذين لا يستطيعون المقاومة فينتحرون ولكننا لدينا رصيدٌ ضخم وهو الإيمان بالله وبملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، وأنه لا يجري على عبده حدثاً إلا لصلاحٍ وحكمة، فنحن نسلّم بقضائه وقدره ونفوّض أمورنا لخالقنا. ولو ذهبنا نقرأ حياة الذين لا يؤمنون بالله ورسوله فكيف بحياة إنسانٍ لا إيمان له، فإنَّ الأحداث والمصائب تقتله وقد ينتحر عندما تضيق عليه الحياة، وقد توقعه في متاهاتٍ يضيع فيها فيخسر الدنيا والآخرة ذلك الخسران المبين؛ لأنّ مواراة الأحباب ومفارقتهم الفراق المرّ لا ترى بعده من لقاء

إلا على صعيد الآخرة يوم يبعث الله الموتى في ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

ومما يخفف حرارة الألم وجاحم الحزن إيماننا بالموت؛ لأنّ الموت فيه حكمةٌ بالغة نجهل أسرارها؛ لأننا لا ندرك ما في هذه الحكمة التي يجريها خالقنا على عبيده، فهي مصلحة ونعمة على المخلوقين، ولولا الموت لضاقت بأهلها الدنيا، وربما نكره ما فيه صالحنا بجهلنا وعدم معرفتنا، ولو كُشِفَ لنا الغطاء لاخترنا ما اختاره فاطر السماوات والأرض كما يخفف ألم الفراق المرّ البعث، فإنّ الموت حقٌّ والساعة حقّ وهي آتية لا ريب فيها، فصبراً جميلاً والله المستعان وبه الخلف والعوض من كلّ فائت كما يعوض الموتى الذين امتحنوا في هذه الحياة وصبروا وفوضوا أمرهم إلى الله، فإنّ الله بصير بالعباد.

فإليك يا ربِّ أرفع شكوايَ، وإليك يا ربّ أخشع، آمنت بك وعليك توكلت وإليك أنبت وإليك المصير، فألهمني الصبر والسلوان واصبُب على جروحي بلسم الشفاء وعوّض من فات كرسول وخاتون ووالديَّ ولجميع المؤمنين والمؤمنات العوض بالجنة والخلود في دارك ورضوانك فإنك الغفور الرحيم.

وقد هبط العام الجديد بعد أن انطوى العام الماضي عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين ليطلّ علينا عام جديد يحبو على الأفق كطفل وليد، ونحن نجهل أسراره ولن نستطيع أن نقرأ حروفه وأن نستشف ما في طيّات أيامه ولياليه ولا يعرفها إلا الخالق الذي خلقنا وخلقه.

نسأل الله أن يكون هذا العام عام خير وبركة على جميع المسلمين

في أقطار الأرض بل على الإنسانية المعذبة التي لا يزال الأخ يسلب أخاه ويقتله، لقد تفجرت الأرض دماءً وعاش الإنسان على حياة بركانية في كلّ ثانية تنفجر به من الأسلحة المدمرة. لماذا تحول الإنسان من صورة إنسان إلى صورة وحش مفترس هدفه قتل أخيه وسلبه، وقد يفجر نفسه في مجتمع بريء يضم نساءً وأطفالاً فيدمر ذلك المجتمع فيفجع تلك الشريحة في أبنائها فيرمّل النساء وييتم الأطفال، أهكذا الإنسانية!

إنّ الوحش لا يعمل في أخيه ما يعمله الإنسان في أخيه، لقد ضاقت هذه الحياة بهذه الأعمال الشريرة وأصبحت تسبح في بحر من الدماء والشقاء، فمتى يرجع الإنسان إلى عقله ويذكر ربه فينيبُ ويتوب من هذه الأعمال الشريرة، ألا يعرف أنه عن قريب سينقل إلى حياة غير هذه الحياة فيحاسب حساباً شديداً؛ لأنَّ الذي سوف يحاسبه هو مطلع على خفاياه ظاهره، لا تعزب عنه مقدار ذرة، فهو الخبير العليم.

فإني من قلبٍ مفعمٍ بالحزن وباللهفة المريرة، أدعو ربي أن يهدينا ويردّ هذا الوحش الطائش إلى إنسان يعرف ربه ويرجع له في كلّ أوامره ونواهيه، إنه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

1428/1/20هـ

2007/2/8م



الرباط المقدس



﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

صدق الله العظيم

إنّ الحياة الزوجية سكنٌ للرجل، وأيُّ سكنٍ، فكلّ رجل لا زوج له لا سكن له؛ كأنه يعيشُ في صحراء قاحلة لا أنيس بها ولا سمير، فيلمس فراغاً عميقاً ودنيا باردة كأنه يعيش في وحشة خرساء صامتة تتراقص أشباحها بين عينيه. وعندما يأوي إلى سريره تتراقص حوله أشباح العزوبة لتنهش من راحته وطمأنينته فيتراءى له كأنه وحش في وسط

(1) سورة الروم، الآية رقم (21).

فضاء هائم على وجهه، فلو عاش الرجل في قصر فخم مؤثث بالرياش والآثار البديعة والتحف الجميلة بدون زوجة لا يحسُّ بما في هذا القصر من حياة جميلة ونعيم عيشٍ رغيد.

فإنّ تلك الزوجة هي التي تخلق الحياة الفضلى والطمأنينة في نفس ذلك الزوج وتسكب عليه ظلال النعيم والدِّعة. ولو سكن في خيمة في صحراء مع زوج له لوجد في الخيمة ما في القصر من جمال وعيشة هنيئة وطمأنينة سكبته تلك الزوجة في تلك الخيمة التي ينفخ فيها الريح وتعصف بها الرمال.

وإنَّ في رباط الزوجية أسراراً تدقّ على العقل البشري ولا يتصورها إلا الذين هداهم الله إلى بعض آياته؛ لأنّ رباط الزواج المقدس، وهو من آيات الله العظمى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

ولهذا الرباط المقدس أن تتزوج امرأة غريبة قد لا تربطك بها قبيلة أو وطن أو دم قبل الزواج، ومنذ تصبح تلك المرأة زوجة لك التي كانت غريبة عنك فجأة ترتبط بك ارتباط الروح بالجسد وتنمو تلك المودة بين الزوج وزوجه كأنها زُرِعت منذ أجيالٍ طويلة، وترتبط بذلك الرجل ارتباطاً حياتياً لا تكاد أن تنفصل منه أو ينفصل الرجل منها، فحزنه حزنها وفرحه فرحها، فحياتها جزء من حياته، وحياته جزء من حياتها، حتى يكون الامتزاج الحبّ أقرب من أبيها وأمها.

وقد صوّر هذه الحياة كتاب الله تصويراً لها من أدقّ التصوير، يقف

المفكر والكاتب محصوراً عاجزاً أن يصور ذلك التعبير أو أن يصل إلى ذلك المفهوم القرآني التعبيري ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [سورة البقرة: 187]. أرأيت كيف صوّر كتاب الله هذه العلاقة الزوجية، وهل أقرب علاقة للشخص من اللباس الذي يغطيه من رأسه إلى قدميه، إنه تصوير دقيق يربط هذه الحياة ربطاً ما بعده من تصوير وارتباط.

إنّ الرجل يغطي المرأة كما يغطيها لباسها، وهي تغطيه كما يغطيه لباسه، وفيها نكت بليغة؛ لأنّ اللباس يزيّن الرجل والمرأة أمام المجتمع، وكما يكون ستراً مرخياً عليها يقيها همزات الشياطين تكون حجاباً له تقيه الشهوات العارمة، فالرجل زينةٌ لهذه الفتاة، والفتاة زينة لهذا الرجل، ما أعظمها من روعة وما أبلغها من تعبيرٍ. صور هذه الحياة وهذا الرباط الروحي في إعجازٍ تحار فيه البلغاء والمفكرون.

فالزوجة ملاكٌ تخفف بكفّها الملائكية عندما تُرَبِّتُ بها على كتف ذلك الزوج فتخفف آلامه، وببسمتها تبدد ذلك الليل فتشرق فجراً يضيء في قلب ذلك الرجل، ومثل ذلك الزوج الحنون عندما يُرَبِّتُ على كتف الزوجة بيده أو يبسم لها، تشعر بأنها في غبطة وسعادة ولا سيما عندما يهمس لها بكلمة ناعمة (إني أحبّك)، فعندها لا تشعر أنها تعيش في هذه الدنيا المحفوفة بالآلام إنما تشعر بسعادة ونعيم لا تتصوره في تلك اللحظة عندما تندّ شفته بتلك الحروف الناعمة.

وهذه الحياة الارتباطية التي تتغلغل في حياة الزوج والزوجة إلى أبعد الحدود تصل إلى حدٍّ لا يصل لها أحد من أقرباء الزوج أو من

أقرباء الزوجة، حتى والد ذلك الزوج أو والد تلك الزوجة لا يصلان إلى حدود ما يصل إليها الزوجان.

هكذا الحياة الزوجية التي تفيض سعادة وانسجاماً فتملأ دنياهما غبطة ونعيماً، وهذه الحياة هي تفضل ونعمة من الخالق الذي أوجدهما وسخر لهما هذا الحبّ وهذه الرحمة، وسخر لهما الكون يتمتعان بما فيه.

وهذه الآية الكريمة المثالية التي صورت ارتباط الحياة الزوجية تتحقق وتتمثل في الزوجة المؤمنة التي تخشى الله في الحضور والغياب ولا تخرج عن الحدود الشرعية، وكذلك الزوج الذي تنطبق عليه هذه الآية الكريمة، فهما زوجان سعيدان، فهل نشكر خالقنا على ما منحنا من هذه النعم وهو القائل عزّ وجلّ: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾؟

إننا لا نحصي هذه النعم وهذا اللطف الذي يفيض علينا في كلّ ثانية من ثواني الزمن ظلالاً من الغبطة والعطاء. العطاء الذي لا ينفد ولا يزول؛ لأنه عطاء من كريم لا يمنُّ على عبيده مع حاجتهم له فهو الغني المطلق وهم الفقراء المطلقون.

هذه المقدمة من الحياة الزوجية أردتُ أن أصوّر هذه النعمة التي منَّ الله بها على عبيده، وكيف أني لمستُ هذا الفراغ وما فيه من نعم عليَّ بعد رحيل زوجي خاتون الشيخ محمد صالح المبارك في صبيحة الخميس الواحد والعشرين من شهر ذي الحجة عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين هجرياً الموافق الحادي عشر من شهر يناير عام ألفين وسبعة ميلادياً.

كيف انحسر ذلك الظلّ وذبلت أزهاره وأحسستُ بفراغ عميق

يملأ نفسي فضلاً عن بيتي، وبالرغم أنها ماتت قبل موتها بعامين وشهرين تقريباً لما ألمَّ بها من جلطاتٍ أُصيبت بها في المخ عطلت حركاتها وغيبت شعورها فأصبحت مومياء[1] ممددة على السرير ولكنني عندما فقدت ذلك الشبح كان له ذكرى أعاد لي حياتها عندما كانت تتحرك سليمة في بيتي وتسكن عندما أسكن وتحزن عندما أحزن، وتبسم عندما أفرح، كلّ هذا قد عادت لي طيوفه وأيامه صوراً تجسّد منذ فجر حياتي الزوجية عندما كنّا في ميعة الشباب وحتى فلوج الخريف التي تراكمت حولي وحولها على قمم الزمن الذي لا يرحم.

كلّ هذه الصور جسّدت شريطاً يتحرك في عيني وقلبي ففزعتُ لله خالقي أسأله الصبر والسلوان ولا سيما جاء مصرعها بعد مصرع أخي وشقيقي وركني أخي أبي نسيم الذي وافته المنية في ليلة السابع والعشرين من شهر شعبان عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين هجرياً الموافق العشرين من سبتمبر عام ألفين وستة ميلادياً. فكان بين مصرعيهما ثلاثة أشهر وأيام.

ثم قفَّى بعد مصرعيهما مصرع الأخ الصديق الوفي الركن الثاني عبدالله الشماسي (أبي حلمي) زوج شقيقتي الذي وافته المنية في صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من شهر محرم عام ألف وأربعمئة وثمانية وعشرين هجرياً الموافق السابع عشر من فبراير عام ألفين وسبعة ميلادياً.

---

(1) لقد صورتُ وجسدتُ ما ألمّ بها من مرض في قصائد تعرض تلك الحياة الباكية كشريط يُرى وتلمس صوره وهي موجودة في ديوان أوراق متناثرة مع تأبينها.

غير أنَّ ربّي لطف بي وصبّ على قلبي دروعاً من الصبر والعزاء والسلوة، فله الشكر وله المرجع وليس لنا إلا أن نقول:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾

لأنّ هذه المصارع تتابعت تتلو بعضها بعضاً لا يفصلهما إلا فترة قصيرة كالظلّ بين الظهر والعصر، ونتمثل بهذا البيت من القصيدة التي رثيتُ بها زوجي:

مصـــرعٌ بعد مصـــرعٍ خامــد الضوء

ذبـــيح المنى ســـريع الرواح

ونختم هذا الحديث بالآية القرآنية حتى تكون الخاتمة مسكاً

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾

كلمة يفزع المصاب لهذه الآية فتمسح آلامه وجروحه، كما نسجل تاريخ وفاة الزوج الحنون خاتون بنت الشيخ محمد صالح المبارك الذي كتبه الشاعر الأديب الأستاذ محمد رسول الزاير.

1428/2/8هـ

2007/2/26م

أمّ عليٍّ رحَلَتْ

لها التقى عنوانُ

نحْو نعيمٍ دائمٍ

يفيضه الرحمنُ

تخدمها الحورُ كما

أرخ لها بجنة غفرانُ

لها 36

بجنة 60

غفران 1331

1427



الحياة ميدانٌ

إنَّ الحياة ميدانٌ من ميادين السباق والصراع، وأكثر ما يكون هذا الصراع بين البشر، ولا يخلو منه حتى الحيوان، ولكنه صراعٌ وهراشٌ على فريسة هي من أوهى حطام في هذه الدنيا، فأكثر ما يكون صراع البشرية على الحياة المادية التي يلهث البشر ليلاً ونهاراً وراءها ليصطادوا منها ما استطاعوا، يصطادونه غير آبهين بالطرق التي يصطادون منها ذلك الحطام ولو مشى على رقبة أخيه الذي عاش معه في محيط ورضع وإيّاه من نهدٍ واحد، لا يبالي في سبيل الوصول إلى مأربه في قتل ذلك الأخ، وقد يأخذه الغرور فيقتل أخاه على خُلفة بينهما في الرأي أو في الفكرة أو في أقلّ من ذلك.

فميدان الحياة يزخر بقصص من ألوان مختلفة لها فصولٌ وصورٌ من مآسٍ متفجعة تركت من وجهت له سهامها أرامل وأيامى وأيتاماً يتسكعون في الأرض، ويعيشون كسفينة في موج بحرٍ لا ربّان لها حتى يرسي بهم إلى شاطئ السلامة إلا شاطئ المنون، وقد فاعلوها على

مسرح طويل قاموا بأدواره في قصص عجيبة غريبة وصبغوا هذه الأرض بدماء الأبرياء، ومنذ فجر التاريخ الإنساني وأول فصل مثَّل دوره على خشبة مسرح هذه الحياة ابْني آدم حيث قتل قابيل هابيل، فكانت القنبلة التي تفجر منها شرُّ هذا البشر، وأخذ تكبر مع أطماعه وشهواته فصار يتوارثها شرير عن شرير، ويربيها في نفوس حالكة قاتمة كحلكة الليل بل هي أشدّ ظلمة منه؛ لأنّ ظلام النفوس لا فجر لها.

أما ظلام الليل فسوف يعقبه الفجر، ولننتقل فجأة من العصر الحجري إلى العصر المدني، عصر العلم، عصر التطور، عصر الكهرباء، عصر الحاسوب الذي هو معجزة القرن العشرين بل الواحد والعشرين، فالحاسوب هو عقل هذا القرن الذي جاء لنا بعجائب وغرائب، فالحاسوب صنعه هذا العقل الجوهر الذي منحه الله لهذا الإنسان ولكنَّ الإنسان كنود كفورٌ بِنِعم خالقه، فهو جحود لا يؤدي لمن منحه هذه النِّعَم المختلفة ألوانها المتعددة أشكالها، وقد سخَّر خالقه لعقله هذا الكون بما فيه من طبيعة وبحر وشمس وقمر وأنهار وأشجار وجِنان باسقة تعجب الزرَّاع ونساءٍ في أبدع صورة صورها خالقها، ولا أستطيع أن أعدّ هذه النِّعَم إلا بقول الخالق عزّ وجلّ: (وإن تعدّوا نعمتَ الله لا تحصوها)، فإحصاء نعم الله لا نستطيع إحصاءها وحصرها.

وقد أشرت إلى أنَّ أثمن هذه النِّعَم هي جوهر العقل الذي استطاع به الإنسان أن يرسم هذه العجائب والغرائب وتحكم في هذه الحياة في بحرها وجوّها وبرّها، فالإنسان لولا العقل لكان الحيوان أفضل من الإنسان، ولكنَّ الإنسان تكونت طاقته من عقل وشهوة، بينما الحيوان شهوة بلا عقل؛ لذلك تميز الإنسان على هذه المخلوقات بالعقل الذي

عليه يثيبه خالقه أو يعذبه، فالملائكة عقل بلا شهوة، ولم يجمع هذين العنصرين غير الإنسان الذي منحه الخالق بهذه النعمة التي لا يعادلها شيء في الحياة، فالعقل هو النبراس الذي يطور لنا الحياة ويجد لنا الدنيا في صور بهيجة الألوان متناسقة تسير مع عصر الإنسان في تلوّن العصور واختلاف الأزمنة ونسير به في عتمة الليل وفي إشراقة الصباح وهو الذي يهدينا ويرشدنا إلى سبل الخير.

وإذا انحرف العقل أو ران عليه ضباب يكثفه ويحول بينه وبين النور فيهوي بصاحبه إلى هوة مظلمة أو إلى طريق شرير يكون عاقبته عصيان الخالق الذي أنعم بهذا العقل فيهوي لا سمح الله في قعر جهنم جزاءً لكفرانه وعصيانه خالقه، وكما أشار القرآن العظيم الذي فيه النور والهدى والشفاء: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات: الآيات 37-41].

لقد أشارت الآية الكريمة إلى عقل النور وعقل الظلام، فعقل النور هو الذي يصلك إلى مرضاة خالقك، وعقل الظلام يرسل النفس إلى الشهوات الشريرة فيندم صاحبه ندماً ولات حين ندماً، وخير ما نختتم هذا الحديث بالآية الكريمة السابقة ففيها ما يشفي النفوس ويروي القلوب.

1428/2/22هـ

2007/3/11م



دروسٌ وحكم

إنّ للشعر دوراً في هذه الحياة، فله صورٌ تتجسّد من قلب الحياة وترسم ألواناً من أفكار لعباقرة صوروا الحياة حسب رؤيتهم، فكلّ مفكر أو عبقري يصور رؤياه ويطبعها على صفحات من كتاب الكون في حروف قد تموت قبل استهلالها، وقد تعيش فترة من الزمن ثم تنطوي مع طي ذلك الزمن، وقد تخلد تلك الحروف وتعيش طويلاً إلى ما شاء الله ويقدّر لها الأجل فتمتد على رقعة هذا الزمن، ففي كلّ يوم تتجدد مع تجدد الفجر وضوء الشمس، فهي خالدة لا تمحوها الأيام ولا تفنيها الدهور، ولماذا أبتعد بك يا قارئي وبين يديَّ ثروةٌ ضخمة فيها عِبرةٌ وحكمة، ففيها سلوة للحزين وضماد للجروح البشرية، وكان الباعث إلى هذه المقدمة عندما قرأتُ الشاعر العملاق رفيق الدهور والخلود وشاعر الإنسانية المتنبي، كنت أقرأ له:

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أهلٌ ولا وَطَنُ ... ولا نَديـمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَـكَنُ

أحسست بهذه الأحرف تفيض منها الحسرة واللهفة يصورها الشاعر

في وحدة خرساء يتذوق مرارتها من عاش هذه الوحدة.. الوحدة القاتلة التي لا تكاد تفتحها فتدخل مع الشاعر في أجوائه وتلج الى محرابه الشعري فتراه وحيداً يتعلل بماذا، فهو يعيش بلا وطن وأهل ولا نديم ولا كأس ولا سكن، الوطن الذي أراد الشاعر به لا البيوت ولا الساكنين فيها، إنما يريد أن يعيش في وطن يألفه ويستوحي من سمائه الشعر، فهو يخاطب الأرواح لا الأشباح. يا لها من وحدة فيها المرارة ولا دواء لها إلا التصبر بنفسٍ جبارة تقف بكلّ قواها مستعينة بخالقها أمام هذه الوحدة القاتلة.

إنني أحد ضحايا وصفه شاعرنا العملاق، فلستَ الوحيد يا شاعري تعيش في هذه الوحدة، فإني أشاركك ويشاركنا مئات بل أُلوف، والشاعر وضع البلسم لهذه الوحدة الخرساء:

لا تلقَ دهـركَ إلّا غيرَ مُكترِثٍ ... ما دَامَ يصحَبُ فـيه رُوحَكَ البدَنُ

فما يدومُ سُرورٌ ما سُرِرتَ به ... ولا يَرُدُّ علـيكَ الفائِتَـــ الحزَنُ

وقفةً معي لنتأمل هذه الصورة المتحركة التي تجسّد أمام عينيك منظراً فيه عِظة وحكمة بالغة، فهي كبلسم لجراحات الليالي أو دواءٌ من صيدلية فكرية حينما تستعمله يخفف آلامك ويمحوها من قلبك الحزين عندما تقرأها بدقة ووعي وتأمل، فالشاعر المتنبي (أبو محسَّد) يأمرك أن تقف أمام الخطوب بقوة وعزم لا تكترث بها ما دام روحك تصحب بدنك، فعندما تفارقه انتهت الحياة، وبانتهائها ماتت الخطوب، ويعلل الشاعر تعليلاً منطقياً ببرهان واقعي، فإنّ السرور لا يبقى ولا يدوم، وإنّ الحزن لا يبقى ولا يرد الفائت، أرأيت كيف الحكمة والتصوير.

مما أضرَّ بأهـلِ العشقِ أنهمُ هَــوُوا وما عَرَفوا الدنيا وما فَطِنوا

تفـنى عُيُونُهُمُ دمعاً وأنفسُهُمْ فــي إثــرِ كُلِّ قبيحٍ وجهُهُ حَسَنُ

تحَمَّلـوا حملـتكُم كُـلُّ ناجيةٍ فـكُلُّ بَيْنٍ علـيَّ الـيومَ مُؤتمنُ

وهنا شاعر الإنسانية يضربُ للبشر مثالاً يدلل به على صحة رؤياه في عدم الاكتراث بالخطوب؛ لأنّ الحزن لا يدوم والسرور لا يبقى، وهذه صورة من واقع الحياة، لا يحتاج لدليل، إلا أنّ المتنبي شاعر الإنسانية لم يقنع بالواقع الملموس الذي لا مراء فيه حيث أشار إلى صورة تطوفُ بشريحة من البشر وهم العشّاق، فالعاشقون لم يفهموا الدنيا في رؤية المتنبي فأضرّ بهم عدم فطنتهم حتى هووا ولم يعرفوا الدنيا ولم يفطنوا إليها، فحسب رؤيته أنهم يفنون أنفسهم وأعينهم دموعاً وراء ما يقومون به من سهر وحسرات، فهو في رأيه هذا فعلٌ قبيحٌ في حبّ هيام المحبوب حسن الصورة جميل الوجه. ثم يشير في مقطعه إلى العاشقين أن يتحملوا هذا الضنى كما تحملهم في السير كلّ ناجية، فإنّ قطعهم للمسافات مهما بلغ ذلك البين فلا يوصلهم لغايتهم، فالشاعر يراهم يلهفون لباطن قبيحٍ ظهره وجهه حسن.

يا مَنْ نُعيتُ على بُعـدٍ بمجلسِهِ كُـلٌّ بما زَعَـمَ النَّاعــونَ مرتَهَنُ

كمْ قد قُتِلْتُ وكمْ قد مُتُّ عندَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فـزالَ الـقبرُ والكَفَنُ

قد كانَ شاهَدَ دفني قبلَ قَوْلِهِمُ جماعَةٌ ثُمَّ ماتوا قــبلَ مَـنْ دَفَنوا

ما كُلُّ ما يتمنَّى الـمرءُ يدرِكُهُ تجري الرِّياحُ بما لا تشتهي السُّفنُ

إنّ الصورة التي صورها شاعر الإنسانية في تحمل أحداث الحياة

وما يطفو عليها من حلو ومرٍّ، ومرُّها أكثر من حلوها، فهو لا يعبأ بها ويسخر من خطوبها حتى يرسم الصورة في مشهد ينقلك كأنك تعيش معه إلى الذين شمتُوا به في مجلس الأمير سيف الدولة فكان رده فيه زخم وإبداع وحكمة وعِبرة يصورها لمن استثقل ظله في الحياة وتمنى موته وتصور أنه مات فنعاه بمجلس سيف الدولة فكان جوابه لمن نعاه جواباً رائعاً، حيث أشار في صورة ناطقة أنهم أماتوه ثم قتلوه ولكنه انتفض انتفاضة العملاق فمزّق القبر والكفن فخرج لهم يُعشي أبصارهم ولكنّ الذين نعوه ماتوا وهو حيٌّ، فشاهد دفنهم ولم يشاهدوا دفنه ويا لها من روعة في هذا البيت:

ما كُلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدرِكُهُ تجري الرِّياحُ بما لا تشتهي السُّفنُ

ليس كلّ ما يتمنى المرء يظفر به كما يظفر بشرب الماء البارد، فقد تعاكسه الرياح وتبدد آماله كما تبدد ورق الأغصان على الصعيد وتعاكس السفن في سيرها، وهكذا الحياة لا تجري بإرادة المرء وهواه وإنما تسير بإرادة الخالق الذي خلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم.

1428/2/25هـ

2007/3/14م





ذكرى أمي

لـــكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ

أقفرتِ منها وهنَّ منكِ أَواهلُ

كان هذا البيت للشاعر العبقري الحكيم المتنبي يتردد صداه أصداءً في أحقاب السنين التي تتراكم كأوراق الشجر وعليها ثلوج الزمان وغبار الدَّهر، كلما دخلتُ بيتي تردد صدى هذا البيت على سمعي فكان له الوقع المؤلم الذي يثير الشجون والأحزان! لا يا قلبي، ما أنتَ إلا عاطفةٌ أو دمعةٌ مسفوحةٌ، اِهدأ واستقرّ، فجروحك قد ضمّدها خالقها لكنك لا تكاد أن تستقرّ حتى تستفزك الذكرى.. ذكرى الأحباب التي لا تمحى من القلب حتى يُمحى ذلك القلب ويغيب وراء التراب، وقد حدثني قلبي كأنه استوحى من سماء الذكرى هذين البيتين:

ذكرتُكِ والذكرى بقلبي مريرةٌ
فهل تنفع الذكرى ويشفي توَّجُعُ
ولكنها سُلْوة لـمُنية جريحةٍ
تهاوت فمرَّتْ في حياةٍ تُرَجِعُ

إنها ذكرى لأحبابٍ فارقوا الحياة فكانوا عِبرةً لنا، ذكرى أمي وهي أثمن كنز في الحياة.. ذكرى أخٍ عزيزٍ عليَّ فاجأه الموت في لحظاتٍ فانتهى من الحياة ـ رسول ـ (أبي نسيم).. ذكرى حبيبةٍ لقلبي الزوج الحنون ـ خاتون ـ ذكرى أخٍ وصديق، زوج أختي عبدالله الشماسي، فاشدد يا فؤادي أجنحة الصبر واعتصم بالله، فهو الذي ينجيك ويشفيك من هذه البلايا والكروب.

لا تكن جزعاً ولا برماً، ثق بالله وتوكل عليه فهو حسبك يا فؤادي، وإن أهاجتك الذكرى وناجيت في هدأة الليل أحبابك فناجِ أمك، فقل: يا أماه، لقد مرّ عام ألفين وستة فيه مصارعٌ لأحبابك فتمنيتِ وقد أُعطيت أُمنيتك ألّا تشاهدي مصارعهم، وأن يزفوكِ على سريركِ محمولة إلى القبر وقد زفوكِ إلى ما كنتِ تتمني وترددينه في حياتك، هذا نصّ تعبيرها كانت تردده عليَّ غفر الله لها ورحمها، وهو بالنص أو بالحرف الواحد (إن شاء الله يزفني الشيخ محمد سعيد والشيخ عبدالله والشيخ عبد الرسول أبنائي، وتجلس بنتيَّ زينب وبهية في المعزّى لي).

ولكنَّ قلبي يناجيك ويخاطبك في هدأة الليل وسكون الظلام وصمت الشجر وسنة نأمة النسيم.. أُماهُ، هل استقبلتِ ابنكِ وحبيبكِ رسول الذي

كنتِ تحبّينه حبًّا عاطفيًّا، حب أم لابنها وكفى، هل عانقتِيه وقبّلتيه، وهل استقبلتِ زوجة ابنكِ ـ خاتون ـ التي طالما سهرت على رعايتُكِ وقدمت لكِ ما تحتاجينهِ، هل تعانقتِ معها وقبّلتيها، هل استقبلتِ زوج ابنتكِ عبدالله الشماسي؟

فكانت لقيا أحباب لأحباب، هل أقمتِ لهم نادياً ونثرتِ عليهم الزهور؟ اسمحي لي يا أمّاه أن أخاطب روحكِ بهذه العبارات التي تجرح القلب، ولكنني مع إطلالة ذكراك حيث وافتكِ المنية في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر صفر عام ألف وأربعمئة واثنين وعشرين هجري الموافق الثامن عشر من مايو عام ألفين وواحد ميلادي.

ومن الصدف أن ترجع بي أصداء الذكرى إلى تاريخ وفاتك الذي تجدّد في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر مايو ألفين وسبعة، تصادف هذه الذكرى يوم وفاتك في هذا العام عام ألفين وسبعة ميلادي أن يكون يوم الثامن عشر هو يوم الجمعة، فكانت ذكرى تتجدد كشريطٍ مجسّد في خاطري وناظري، وقد مرّ على تاريخ وفاتك ما يقارب عامها السادس وقد مرّ بين طياتها مصارعٌ لأحبابٍ لكِ ولي، وهكذا الحياة مودِّعٌ ومستقبِلٌ.

إنَّ الجديدين ينطويان في شوق ولهفة للإنسان وفيهما مصارعنا ونهايتنا وفقد أحبابنا، وإنَّ أدق تعبيرٍ في فقد الأحباب للإمام عليٍّ عليه السلام أفصح البلغاء وأبلغ البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد صور فقد الأحبة في حروفٍ مختصرة بعيدة المعاني فيها صور متحركة وشريط مجسّد حيث يقول (ع): (فقد الأحبّة غربة)، يا لها من غربة!

إنَّ هذه الصورة وهذا المعنى لا يشعر به إلا من كوته هذه الغربة وهذه الوحشة الصامتة لولا فيضٌ من رحمة الله على الفاقد لتقطع حسرات ومات، ولكنَّ الله رؤوف ورحيم بعباده، وسلوتنا أنَّ هذه الحياة غير دائمة وإنما هي ظلٌّ يزول كما ينسخ الظهر ظلّ الصبح، ولكنَّ السعيد من اتقى الله وأرضاه وعمل عملاً صالحاً يرضاه الله.

أُمّاهُ وداعاً، فإنكِ في ذمة الله وفي جواره، وفي ذمة التاريخ إذا كان التاريخ أميناً ووفياً من الأبناء للآباء. إنَّ الأم هي أثمن كنز في حياة كلّ ابنٍ إن كان وفياً فلا يعادلها في الحياة شيءٌ، ومهما صنع الإنسان من برِّ الوالدين فلا يستطيع أن يؤدي بعض حقوقهما، فالإنسان مُدَانٌ لهما طالما هو على قيد الحياة، ومسؤول عن برِّ والديه حيين أو ميتين، فأرجوا يا أُمّاه من خالقي أن يوفقني لأداء حقك وحقّ أبي وأن يوفقني لبرِّكما، والسلام عليكِ وعلى أبي وعلى الأحباب الذين نزلوا في رحاب ربهم وتحت رحمة ظلّ خالقهم، فطوبى لهم فإنهم في رحمةٍ واسعة من خالقهم وآخرتهم خيرٌ لهم من هذه الدنيا الفانية المحفوفة بالبلاء والفناءِ.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

1428/5/2هـ

2007/5/19م



لمحة من تاريخ القطيف

نشرت في مجلة الواحة، العدد الثاني والخمسون ـ السنة الخامسة عشرة ـ عام 2009م.

إنَّ التاريخ وثيقة من الوثائق التي تحتاج إلى أمانة في عنق المؤرخ حتى يكتب التاريخ، وأن تكون هذه الوثيقة تكتب لحقيقة التاريخ لا لميولٍ مذهبية أو طائفية أو بيئية أو عرقية أو لوهج الذهب الذي يعمي القلوب ويعشي الأبصار أو لهوى سلطانٍ يكتب المؤرخ ما يمليه عليه ذلك السلطان فيكون ذلك التاريخ تاريخاً مزيفاً تتحكم فيه السياسة لا يمسّ الواقع من قريب أو بعيد، إنما يحرف التاريخ عن مساره الصحيح، فالتاريخ يكون تاريخاً عندما يكتب للواقع المجسّد الذي لا تشوبه شائبة من تلك العواطف أو تلك الأغراض التي أشرنا إليها.

ففي إحدى الأمسيات طلب مني بعض الأدباء، وفي طليعتهم الأستاذ محمد باقر النمر، أحد أعضاء مجلة الواحة، أن أكتب عن معالم تاريخ القطيف ولو إيماءة كإيماءة الشاطئ، وقد سبق لي وأفخر بذلك حيث

كتبت بعض اللمحات التاريخية عن هذا الوطن الحبيب في كتابي (خيوط من الشمس). والكتابة عن تاريخ القطيف يلاقي الباحث جهداً وعناءً؛ لأنّ الكاتب يسير في منعطفات مظلمة لا يكاد يعثر على معالم من هذا التاريخ إلا على ندرة، وأقولها ويا للأسف!

فمنذ فجر تاريخ هذه الربوع أُصيبت بالإهمال، والإهمال جاء، ويا للأسف، من أهلها، حيث الظاهرة التي تأصّلت في نفوسهم، وهي الحسد لبعضهم بعضاً، فكلٌّ منهم لا يريد أن يظهر مجد الآخر على صفحات التاريخ، فضاعت هذه الحلقات وتقطعت على ممرّ السنين وغابت وراء جدار الزمن.

فالكاتب لتاريخ هذا الوطن يعاني من قلة المصادر، فالبحث طويلٌ طويل ومضنٍ، فإذا ظفرت بعالمٍ أو شاعر إنما تظفر باسمه، وإذا كان سعيداً تحصلتَ على يوم مولده ولم تتحصل على يوم موته ولم تتحصل على ما بينهما من حياة، كيف قضاها ذلك العالم أو ذلك المفكر، وإذا تحصلت على وفاته لم تتحصل على يوم مولده.

وقد يُفهم من قولي إنَّ القطيف لم يكن لها دورٌ علمي أو سياسي بل العكس من ذلك، بل كان للقطيف دور خطيرٌ في دور السياسة والاجتماع والعلم والشعر. فالقطيف لعب دوراً في التاريخ وقبل الإسلام، وعندما بزغ فجر الإسلام كان أول وفد من هذه البلاد هم عبد القيس الذين ذهبوا إلى الرسول ﷺ وآله وبايعوه، وكانت قولته في بني عبد القيس القولة العظيمة المشهورة في التاريخ.

وعاد بنو عبد القيس إلى هذه الربوع، فكان منهم الداعية إلى

قومه والمبشّر بالدعوة الإسلامية فأسلمت على يده كثيرٌ من سكان هذه الجزيرة، وسنأتي على هذه الحلقات حلقة بعد أخرى حسب هذا البحث وبحسب ما نتحصل عليه من حلقات نربط بعضها ببعض، وإن كان البحث طويلاً ومضنياً.

أما عن دور القطيف في الحياة السياسية فقد لعب أهلها دوراً واسعاً منذ العصر الجاهلي حتى عصر الإسلام، وبعد الإسلام وعلى ممرّ العصور إلا أنَّ الشعب المغمور قد تسطع من خلال ضباب سمائه أقمارٌ تلوح في سماء الحياة، ودليلنا على ذلك ظهور بني عبد القيس وقبيلة تغلب وبكر القبائل التي هي لها دور في شبه الجزيرة العربية قضايا اجتماعية وسياسية لها حلقات في صفحات التاريخ وإن كانت لمحات باهتة لم يحتفظ التاريخ لها بكلّ أعمالها.

أما دورها في الفكر فكان منها المفكرون والشعراء الذين ملؤوا الدنيا بأنغامهم وبأشعارهم، فما عليك إلا أن ترجع إلى كتاب الدكتور محمد عثمان الملا، فقد خصص هذا الدكتور كتاباً دراسياً عن شعراء عبد القيس وسمّاه (الحكمة في شعر بني عبد القيس). بقراءتك لهذا الكتاب تتحصل على دور تاريخي عالج فيه شعراء عبد القيس في شعرهم الحياة الاجتماعية في صورة حكمية، ولا تنسَ طرفة بن العبد الذي له إحدى المعلقات وكانت معلقته من الشعر الذي يتميز بديباجة اللفظ والبلاغة والحكمة، ولا ننسى دور علمائها الذين أسهموا وأثروا الحياة العلمية وتركوا بصماتهم على صفحات التاريخ في أسفار فُقِدَ أكثرها، وبرغم ذلك تحصلنا على حصيلة من تلك الأسفار.

أما دورها الزراعي فكانت القطيف ربيعاً خصباً استغلّ أهلها أرضها الخيِّرة فزرعوا فيها النخل والحبوب والأرز والبصل والفواكه كالتين والرمان والسفرجل وألواناً من الفواكه، وكانت العيون تتفجر ينابيع لتسقي هذه الأرض فترويها، فكانت القطيف تصدر ما تنتجه أرضها إلى مدن الخليج كأوال التي تعرف اليوم بالبحرين وقطر وأبو ظبي ودبي والشارقة وغيرها التي تعرف اليوم بالإمارات العربية المتحدة واليمن.

وفي الحرب العالمية الثانية زودت العراق بالتمور، فكانت القطيف والإحساء يضرب بهما مثلاً (كناقل التمر إلى هجر). كما كان للقطيف مرفأ تاريخي (دارين) هو جزء من القطيف لا يتجزأ، وكان هذا المرفأ قبل عصر الإسلام يزود شبه الجزيرة العربية وله مواسم أدبية وشعرية، كما أنه يزدحم بالتجارة اللاهثة وبالتجار الذين يأتون من نواحي هذه الأرض ليجتمعون في هذا المرفأ، ولعظم ازدحام الموسم التجاري بحيث يغطي على هذه الرقعة ويشغل التجار بما يتجرون به فيكونون في غفلة، فينتهز اللصوص هذه الغفلة فيسرقون ما يشاؤون ويملؤون حقائبهم حتى قال شاعر عربي:

يمرون بالدهـــنا خـــفافاً عـيابهم

ويخرجن مــن دارين بُجرَ الحقائبِ

على حين ألهى الناس جلّ أمورِهِمْ

فنذلاً سُــريق المال نـــذل الثعالبِ

فهنا الشاعر يسجل حقيقة تاريخية في مرفأ دارين حيث يأتي اللصوص

فارغة حقائبهم ويملؤونها من ميناء دارين في خلسةٍ وغفلةٍ كما تعمل الثعالب في مكرها وحيلها، ولا أعرف في أيّ عامٍ تحرك هذا الميناء، ومتى سكنت هذه الحركة وهمدت، ولكن حتى القرن الرابع الهجري كان الشعراء يتغنّون بطيب دارين كالشاعر الشريف الرضي والشاعر أبي نواس، ويشبّه الشعراء عطر حبيبتهم كعطرٍ داري؛ نسبة إلى دارين.

وتحرّك تاريخ ميناء دارين في عصر حكم المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود في أوائل القرن الرابع عشر هجري، أي القرن العشرين ميلادي، فاتخذته الدولة مطاراً تقلع منه طائرتها وتحطّ فيه، ولا أعلم متى تركت الدولة هذا المطار واستغنت عنه، ولعلّه بعد التنقيب للنفط وفتحها مطاراً دوليًّا بمدينة الظهران، فأهمل ذلك المطار إلا أنه بقيت فيه رسوم مدة زمنية طويلة حتى إني رأيت تلك الرسوم والعلامات التي تدلّ على استعماله مطاراً بدارين كما أن هذا المرفأ الذي بدارين يشهد بدور ثقافي وشعري مع الموسم التجاري .

وأما عيون السيح التي انتشرت بمنطقة القطيف فهي كثر، ويرجع تاريخها إلى عهد قديم، إلى عهد الفينيقيين، حيث ملكوا هذه البلاد وأنشأوا فيها حضارة استمرت على ممرّ الدهور. ومن آثارهم هذه العيون العجيبة التي يعجز العصر الحديث بما رزق من تطور وتكنولوجيا أن يحفر ولو واحدة كتلك العيون وهي التي حولت القطيف إلى واحة خضراء على ضفاف الخليج تموج بعطورها وفواكهها وترى نخيلها مصطفة كأشباح جنٍّ مرعبةٍ.

وقد أشرت إلى تاريخ هذه العيون وصورتها وجسّدتها كأنك تبصرها

وتراها ماثلة أمام عينيك في كتابي (خيوط من الشمس)، وكيف مرّت عليها يد الزمان لتعفّيها وتميّتها، ويا للأسف، يخربون بيوتهم بأيديهم. ولعلّ يد الطمع والتجارة كان له الدور الأكبر في تعفية هذه العيون وطمسها في طمع مخطط عمراني لنخل يحوله إلى قصور ويميت نخيله وشجره وهي حية قائمة على أقدامها.

إنّ طمع الإنسان الجشع يؤدي به إلى أن يُخرِّب بيته ليربح ريالاً أو أكثر، وبإماتة هذه العيون ونضوبها ماتت الزراعة التي يحلم بها كلّ عامل أو فقير قطيفي، فالصيف ربيع مخصوصب للفقير، حيث يدُرُّ عليه في حياته المعيشية، أما اليوم لا فرق بين الشتاء والصيف إلا بما تبقى من بعض النخيل وبعض الأشجار، فيا للخسارة والأسف، وإن كان لا يجدي الأسف بتضييع ثروة قومية وطنية تفخر بها الأجيال تسلمناها من أسلافنا كانت نعيماً لهذه المنطقة وظلالاً وارفة تحنو على أهلها، فالزراعة شريانٌ من شرايين الحياة حتى روي عن الرسول (ص) وآله: (ويل لأمةٍ تأكل ما لا تزرع وتلبس ما لا تصنع).

إنّ هذا البيان هو من أعظم تخطيط للأمة في طريق حياتها، ولو أخذت الأمة بهذا الضوء الكاشف لكلّ حياة اقتصادية لما احتجنا أن نعيش عالة على الغرب أو الشرق في حياتنا المعيشية والصناعية، وإنهم إذا نظرت الواقع هم المحتاجون إلى ثروتنا الذهبية وخيراتنا الكنزية التي هي في باطن أرضنا فينهبون كنوزنا ويضحكون علينا ثم يستعبدوننا في حريتنا ويبيعوننا ما ينتجه علينا ما ينتجونه فيستغلوننا مرَّات لا مرة، فكان هذا البيان لنبي الرحمة دستوراً ومنهجاً لا دستور مثله في الحياة ولا منهجية كمنهجيته.

ولكنّ هذه الزراعة وهذه العيون الثرّة عندما تدفق الذهب الأسود قضى على هذه العيون وعلى اليد العاملة؛ لأنّ آبارهم تحقن بآبار من الماء، فضعف الأكسجين وتسرب الماء تحت طبقات الأرض، وضاعف ذلك المخططات المعمارية التي حولت البساتين إلى بيوت، وسدّت التصريف وسواقي السقي فغيّرت المعالم الزراعية، وبالتالي قضت على الزراعة هذه العوامل.

أما حياة القطيف الجغرافية الطبيعية فتمتدّ رقعتها من حدود نجد إلى سواحل البصرة، فهي الخط كما هي في المعاجم، كمعجم ياقوت الحموي، ومعجم البلدان، ويؤيد هذه الرؤية الشاعر ابن المقرب فيحدّد الخط بحدود الذين استولوا على هذه الرقعة فقط لا على حدودها الطبيعية ويقصد بذلك الحاكم الذي بسط حكمه على هذه الحدود في بيت من الشعر:

والخط من صفوى حازوها فما

أبقوا بها شبراً إلى الظهرانِ

فالخطّ في مفهوم هذا الشاعر يحددها في حدود ملك من حكمها في عصر الشاعر لا حدودها الجغرافيا الطبيعية وكان حاضرتها قبل الإسلام مدينة الزارة، وكان البحر يصل إليها ومقرّ الحكم في الزارة وفيها السجن، وتدار القطيف من هذه المدينة. أما متى انقرضت هذه المدينة، وهي الزارة، فلم أظفر بتاريخ يشير إلى انقراضها، وقد علمت قبل أشهر أنّ بلدية القطيف قامت بتنقيب وحفر عند هذه المدينة فوجدت آثاراً تدلّ على صدق ما نذهب إليه، غير أنّ المياه طغت

فاضطرت لدفنها والتوقف عن البحث فتحولت حاضرة القطيف إلى القلعة، فإنّ تاريخ تمصير القلعة وتسويرها، فتاريخهما قد أشرت إليهما في كتابي خيوط من الشمس.

وقد امتدت النخيل من القلعة حاضرة القطيف إلى الزارة التي انقرضت وطمس آثارها ولم يبقَ لها أثرٌ على وجه أرضها الظاهري، غير أنه يؤكد هذا المفهوم التاريخي عندما قامت البلدية بتنقيب في هذه المدينة الزارة وجدوا بيوتاً تحت الأرض وآثاراً تدلّ على قِدَمِهَا في التاريخ، وتشير لما نذهب إليه من رأي، ولكن بعد الحفر نبع الماء فصار مستنقعاً فأخذ ينشر الحشرات المضرة مما اضطر بلدية القطيف إلى دفنها.

هذه لمحةٌ قصيرة كتبتُها عن معالم القطيف

والله الموفق.

1428/5/17هـ

2007/06/03م





ذكرى عام

رحمك الله يا أبا نسيم، لقد مرّت أصداء لذكراك تتردد ألحاناً حزينة في أفق نفسي وتبعث وهج الألم والحسرة على فقد الأحباب، ولكن ليس لي فيها يدٌ ولا خيار، بل الأمر كله للعلي الحكيم، والعبد مسيّر تحت مشيئة القضاء ويسير بأمرٍ من خالقه وتحت مشيئته. تمرّ ذكراك، الذكرى السنوية! عامٌ يمرّ على فقدك ولكنك تعيش في قلوبنا وفي أعيننا ولا تزال صورتك تخطر في ردهات بيتي وتمثلك وأنت تتحدث في الصالون الأدبي وفي كلّ ثانية ولحظة يتردد صدى صوتك في أذنيَّ.

أخي، لا أنسى قولك لي وأنت تخاطبني بهذه الكلمات التي تنبع من ينبوع حبٍّ كأنك معي وأصداؤك تتردّد: أخي، لا أنسى فضلك عليَّ، فإنك الذي ربيتني وأعددتني، كلمات في حروفها طاقات من الحبّ والحنان والإخلاص، ما أعذبها كلمات من ثغرٍ لا تفارقه البسمة.. البسمة البيضاء التي تضيء كالنجم لم تفارقك إلا حينما فاجأك المنون ويبست على شفتيك وأذبل الموت زهرتك التي تندى وتفوح عطراً، فما أمرّها من ذكرى! وما أوجعها!

إنّ موت الأخ يهدّ كيان أخيه لولا فيض من الخالق ورحمةٌ تهبط على المصاب فتضمد تلك الجروح وتشدّ تلك الأجنحة المتكسرة المهيضة، ولولا فضل الله لكان ذلك الشخص المصاب في خبر كان، ولكنَّ الله لطيف بعباده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ذكرى عام تمرّ كأنها لمحة من ضوء أو طيف من خيال، لم نشعر بانقضاء هذا العام لما تضبب فيه من آلامٍ وأحداث مصائب تلاحقت من مصارع أحباب مصرعاً خلف مصرع، فأول مصرع لك يا أخي وحبيبي أبا نسيم ليلة السابع والعشرين من شعبان المبارك عام ألف وأربعمئة سبعة وعشرين الموافق عشرين سبتمبر عام ألفين وستة ميلادي التي تمرّ ذكراك في مثل هذا اليوم بالميلادي، لكنها تمرّ وفي طيّها ألمٌ وحسرة؛ لما تصوره الذكرى من أيامٍ وليالٍ قضيتها معنا، وتلك البسمة البيضاء لا تفارق ثغره فهي دائماً تتلألأ على تلك الشفتين كالبدر الذي يضيء من أفقه، وتلك السماحة والمرح من ذلك القلب الطاهر الذي يفيض حناناً وعطفاً، وإذا غضب سرعان ما يرضى ولا يحمل حقداً وضغناً حتى لمن أساء إليه، فتراه كالغمامة البيضاء الطاهرة أو كوردة تذيع عطرها للصديق والعدو، وللمحسن والمسيء، لا فرق عنده.

أوّاه! يا لكِ من ذكرى أشعلتِ فؤادي وأججمته بألم الفراق الذي هو مرّ المذاق! ماذا أذكر وماذا أنسى؟ أأذكر عطفك وحبّك لي وإخلاصك؟ أأنسى مجيئك كلّ أمسية إلى بيتي وحتى في شهر رمضان لا تشرب كؤوس الشاي بعد الإفطار إلا معي؟

هذه الذكرى تعود وأنت لا تعود ولكننا لا بُدّ أن نفوض أمرنا إلى

الله، إنَّ الله بصيرٌ بالعباد، ونفزع إلى الآية الكريمة (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، فهي الدواء الناجع والبلسم للجراح الذي يشفي من كلّ مصاب وجرح مهما بلغ، وقد تتابعت بعد مصابك المصارع المؤلمة، فمصرع الزوج الحبيب خاتون بنت الشيخ محمد صالح المبارك يوم الواحد والعشرين من ذي الحجة عام ألف وأربعمئة سبعة وعشرين الموافق الحادي عشر من يناير عام ألفين وسبعة ميلادي، ثم يقفوا بعده مصرع الصديق الحبيب زوج الأخت أبي حلمي المتوفى صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من شهر محرم عام ألف وأربعمئة وثمانية وعشرين هجرية الموافق السابع عشر من شهر فبراير عام ألفين وسبعة ميلادية.

ففي برهة قصيرة تلاحقت هذه الأحداث والمصائب الممضّة فنعود مرة أخرى لنفزع لخالقنا فهو الذي يقدّر كلّ شيء ولا يجري شيءٌ منه إلا لمصلحة العبد والكون، سبحانه وتعالى عما يصفون، فالحمد لله على قضائه الذي لا يُرّد ولا يبدّل، فهو الحكيم العظيم البصير بعباده الرؤوف الرحيم.

1428/9/8هـ

2007/9/20م





أصداءٌ تتردد

أكتب هذا الحرف وكأني أبصره تنساب من بين حروفه الهجائية طيوف ماضٍ تتراقص بين عينيَّ، وتجسّد لي حياة فيها بسمات وفيها دموع وفيها ذكرى لحياة عزيزة عليَّ، وفيها مصارع أحباب مضوا كما يمضي طيف الغروب وتواروا وراء القبور فهم قريبون بعيدون.

كلّ هذه الطيوف والخيالات تتجسّد أمام عيني، وفي قلبي على مرآة الحاضر أشاهد طيوفها تطوف على مسرح الذكرى فإذا برجع السنين تنقلني فجأة إلى حياة الطفولة، وأنا أعيش في بيتي الواقع في القلعة حاضرة القطيف في ذلك البيت وأسمع صوت أبي يملأُ سماء ذلك البيت بالدعاء إذا خلا بنفسه، وأسمع صوته وهو يُعلِّم الناس ويلقي عليهم دروساً في هذه الحياة في ناديه العام والخاص، وأسمع صوت أمي تناغيني وتهدهدني بأغنيات عاطفية تجسّد حنان الأم وعطفها.

قد أعادت ليَ الذكرى مناظر ذلك الماضي البعيد وترددت أصداؤها على مسمعيَّ كأني لا أزال أعيش بين أمي وأبي وأتلقى الدروس من أبي

والإرشادات الدينية من فمه، وأحياناً أتذكر الموقد عندما نلتف عليه كالحلقة في ليالي الشتاء وأحتسي من قهوة أمي وأرتشف كأس الشاي بلذَّة وغبطة، كلّ هذا تجسّد فجأة لي ونقلتُ له أو انتقل لعيني.

إنّ أصداء الذكرى بالسنين الماضية لا تموت بل ستظلّ تصاحب صاحبها ما دام يعيش على هذا الكوكب، وماذا أنسى يا ذكرى؟! أأنسى أيام الشباب؟ أأنسى أفراح الزواج ليلة العمر وكان أبي هو الذي يتصدر الحفل ويدير جلساته وأيامه كأني أعيش في تلك الغرفة مع زوجي وأنتظر ساعات لآخذ كتابي فأجلس أمام أبي ليشرح ليَ الدرس، وبعد ساعات الدرس أنتقل إلى خلوتي الصغيرة لنجتمع فيها مع الزملاء فيدور النقاش في الدروس وفي الأدب وفي الفكر وفي التاريخ؟

أين زملائي؟ أين السيد علي السيد باقر العوامي؟ أين محمد سعيد الجشي؟ أين عبد الواحد الخنيزي؟ أين محمد سعيد المسلم؟

لم يَبْقَ من هذه الثلة إلا ملا علي بن حسن الطويل، والسيد حسن السيد باقر العوامي، وأخي فضيلة الشيخ عبد الله الخنيزي، أبقاهم الله، وتدور عجلة الزمن فنرزأ بموت الوالد كما رُزئت القطيف بكاملها فكأنها تهوي في لحدها، كما عبَّر المرحوم الشاعر محمد سعيد الجشي حين رثى الإمام الخنيزي:

لا تقل الشيخ أودى فجأة ... وقلوب الناس لم يبرد لظاها

إنما الخط ثوت في لحدّها ... ويلُها لما تبدَّت في عماها

هكذا وصف الشاعر الفترة التي أعقبت موت الإمام في صورة متحركة تجسّد الواقع. وجاءنا فضيلة العلامة الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي

فكان فيه السلوى لنا للمأساة الضخمة التي ألمت بهذه البلاد وأخذ يدير الجلسة التي كنا نعقدها سابقاً وأعاد بعد وفاة الإمام الروح الأدبية إلى الهيكل الهامد فتحرك وأخذ ينتج شعراً واستمرت هذه الحياة الأدبية فترة طويلة.

وعاد عبد الرسول الشيخ علي الجشي مع أبيه العلامة الشيخ علي الجشي من رحلتهما الدراسية من النجف الأشرف فانضمَّ عبد الرسول الذي سمّى نفسه أخيراً عبد الله (أبو قطيف)، فكانت هذه الحركة الفكرية لها دور في الفكر، فأذاعت أحاديثها على أمهات الصحف الكبار.

وقد كتبتُ ونشرت في مجلة الكتّاب المصرية الذي يديرها الأستاذ عادل الغضبان، وكانت في قمة المجد والفنّ، وأذعت أحاديثي وأشعاري في مجلة العرفان ومجلة الأديب والألواح والمعارف اللبنانيات حتى كان للقطيف نظرات فكرية عند المثقفين والأدباء من شقيقاتنا مصر ولبنان وبغداد تشيد بأفكار مفكريها وأدبائها.

واستمرت هذه الحركة حيث انتقلت من بيتي الواقع في القلعة إلى الحي الجديد في بيتي بحي البستان، وقد أضيف لهذه الكوكبة نجوم أخرى، كعلي الشيخ حسين القديحي، والشاعر عدنان العوامي، والصحفيين الأستاذ محمد رضا نصر الله وفؤاد نصر الله، إلا أنّ الزمن القاسي أخذ يطوي من هذه الثلة الفكرية، فرحل منها نجم مضيء هو الشاعر عبد الواحد الخنيزي في يوم الثامن عشر من شعبان عام ألف وأربعمئة وواحد هجري وقفَّ على أثره علي الشيخ حسين القديحي، وجاءت الفاجعة الكبرى حيث رحل الأستاذ الكبير عميد الفكر ومجدد

الشعر والواضع أول لبنة في هيكل الأدب الجديد القطيفي العلامة الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي يوم الرابع عشر من المحرم عام ألف وأربعمئة واثنين وعشرين هجري الموافق ثمانية أبريل عام واحد بعد الالفين ميلادي، ليترك فراغاً فكرياً واجتماعياً في سلسلة من الفراغات يعجزني حصرها وعدّها؛ لأنها تعتصر قلبي، لأنه لم يسدّ ذلك الفراغ أحد حتى كتابة هذا الحديث.

ثم وقعت رزية أخرى هي فقد أثمن كنز في الحياة، الأم، بعد رحيل العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي بعده بأربعين يوماً في يوم الجمعة أربعة وعشرين صفر عام اثنين وعشرين بعد الأربعمئة والألف، غير أنه لم تؤثر علينا هذه الكوارث، فاستمرت حياتيَ الثقافية مع مَنْ تبقى من الكوكبة الفكرية وفي طليعتهم الشاعر أبو قطيف عبد الله الجشي، وأخي أبو نسيم، والعلامة الشيخ عبد الله الخنيزي (أبقاه الله) إلا أنّ الزمن دار مرّات ومرّات فرحل عنا الأخ رسول (أبو نسيم) في يوم السابع والعشرين من شهر شعبان عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين هجري وكان لرحيله حسرة وفراغ وألم ممضّ. وبعد أشهر قفَّت على رحيله رحيل الزوج الحنون صباح يوم الخميس الموافق واحد وعشرين من شهر ذي الحجة عام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين هجري، فكانت في قلبي حسرتان ممضتان، وعلى أثر رحيلهما رحل الصهر عبد الله الشماسي (أبو حلمي) في التاسع والعشرين من المحرم عام ألف وأربعمئة وثمانية وعشرين هجري.

فليس لي من الأمر شيء غير التسليم لقضائه وقدره؛ لأنّ الأمر كله لله، إلا أنها اِدّكاراتٌ مرّة يمزجها ألم الفراق إلا أنه ليس لك خيارٌ أو أمر

إلا التفويض إلى الله والتسليم بقضائه وقدره حتى تربح وتغنم. وفي اليوم الأول من ربيع الأول عام ألف وأربعمئة وتسعة وعشرين هجري رحل أديب وشاعر من كوكبة هذه الحلقة التي تجمعها كلمة نادي السيَّار وهو رائد من رواد الفكر القطيفي عبد الله الجشي (أبو قطيف)، فكان لرحيله فراغٌ في أفق الشعر والأدب.

هكذا الحياة تنطوي بدمعة وألمٍ ممضّ، ولولا هذه المفارقات لما استمتعنا بهذه الحياة، هي أصداء لذكريات السنين انطوت وتبددت كما يتبدد الضباب ولم يتبقَّ منها إلا صدى ذكرياتها التي تحدثت عنها. هذه خاطرة جاشت وهدرت في قلبي وعيني تنفثها من النفاثات التي تعتلج في الصدر وسكبتها أحرفاً وأذعتها حديثاً لأخفف عن ويلاتي وكروبي وأرجع إلى الله وأفوض أمري إلى خالقي وأرجع إلى الآية الكريمة التي هي بلسم للجروح وشفاء للقلوب

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

1429/3/2هـ

2008/3/10م





العاقبة للصابرين

إنّ على مسرح الحياة ألواناً من القصص الغريبة التي تقع صورها مفاجأة وبدون تأهب أو توقع أو حساب. إنّ هذه الصور الغريبة التي تفاجئ بعض المفكرين أو الرؤساء أو من يدبّ على هذا الكوكب لتعطيك حالة من الحيرة الغريبة واختباراً لطاقات من الصبر؛ لأنّ البشرية تسافلت وانحدرت من قمة الإنسانية إلى وهدة الشيطان.

والصبر يحتاج إلى طاقة من المرّ ومن التفويض والتسليم والخوف من الله فإنه لا يجازي عبده لا بمثل ما عمل، فالسعيد من خشي ربه، والشقي يقع فيما وقع فيه المتسافل الخُلُق. ومن غرائب الحياة، ولا غرابة في هذه الحياة بعد أن هبط البشر إلى مستنقع واطئ من الكرامة والأخلاق، أن كان في هذا العصر قصص غريبة لا تمت للكرامة أو للإنسانية بصلة من الصلات.

ولنمثل على هذا المسرح أبطال قصة من تلك القصص التي هي من أسوأ الأخلاق حيث لا رادع لضمير ولا خوف من الخالق، فإذا فقد

الشخص هذين العنصرين فسوف يفعل ما يشاء. وأبطال هذه القصة، هم: خالد، ورمزي، ومشعل، هؤلاء الثلاثة كانوا يشبهون الأصدقاء ولا نقول أصدقاء؛ لأنّ هذه الحياة مبطنة بالزيف وبالكذب وبالابتسامة الخادعة التي تلوح صفراء على الشفاه. كانت بينهم تجارة، فنمت هذه التجارة، غير أنّ (رمزي ومشعل) خانا خالداً ولبَّسا عليه فزويا عنه جلّ ماله، فحار خالد ماذا يصنع مع شريكيه وصديقيه، أيتركهما وهما يسخران منه أم يتقدم عليهما بمرافعة ويقيم عليهما الحجة والبرهان، إلا أنّ خالداً عندما تقدم بدعواه كان قد اعترف بكلّ شيءٍ، أما شريكاه فكانا يراوغان ولا يقولان حقيقة الشراكة ووضوحها الا بالتدليس ، فخسر خالد الدعوة ، فماذا تم؟

تَمَّ أن يُجرّد خالد من جميع هذه التجارة ولا يعطى منها ولا ديناراً واحداً، وتسلم هذه المبالغ والبضائع والعقارات لشريكيه؛ لنفيه من الشراكة! فثارت ثائرة خالد وفوض أمره لله ورجع إلى نتيجة عاقبة الصبر ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، ولكنه لم يستفد من ذلك وراح خالد يضرب أخماساً في أسداس، كيف أصبحنا هكذا، نعيش لا نؤمن على أنفسنا ولا دمائنا ولا أموالنا، وتذكر حديث نبي الرحمة خاتم الأنبياء ﷺ المروي عن صحيح البخاري لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض

تذكر خالد هذا الحديث الشريف فعاد له هذا الحديث حياة مطمئنة حيث إنه لا يزال يتمتع بالإسلام ولم يخن شريكيه، وما هي أعراض الدنيا وما قيمتها أمام الأمانة وأمام خشية الله، كلّ شيء يهون لأنني زائل، والمال إما أنتقل عنه أو ينتقل عني، فما دمت لم أخن

شريكيَّ حتى في فلس فأنا في خير، وليذهب المال ولأبقى في ظلّ طاعة الله متمسكاً بأوامره متجنباً نواهيه.

1429/3/7هـ

2008/3/15م





عام
التاسع والعشرين

مضيتَ أيها العام وطويت أيامك كما تطوى السجل لبعضها بعض، وفي متنها حروف باكية من جراحات الليل والنهار، وثغور عليها بسمات بيضاء تتلألأ كضوء الفجر على ثغور الزهور، فما أحلاك وما أمرَّك! وداعاً أيّها العام ونحن نودعك نودع صفحات من حياتنا فيها ألوانٌ من المتعة والمسرات، وفيها أشجان من الآلام الممضّة ومن ويلات الزمان، وهكذا الحياة بين جزر ومدّ وفرح وترح.

إيه عام التاسع والعشرين بعد الأربعمئة والألف هجري، ماذا خلّفتَ بين جنحيك من أنباء وأحداث وكيف استقبلناها في أيامك، هل استقبلت ببسمات ورضا، أم بترحٍ وسخط على أيامك، وأنت لا تملك شيئاً، إنما أنت مسخر لخالق الليل والنهار وخالق الشمس والقمر، كلّ شيء بيده، فمن يرضى بقضاء الله وقدره فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يسخط فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

ولكنني أريد أن أهمس في أُذنك، أيها العام الراحل وأقول لك: إنك

هبطت عليَّ في أشهرك الأولى وبالتحديد بعد أن طوينا ثلث العام، نعمة من الله لم تدُر يوماً ما في حسباني، وهي أكبر نعمة من الله.

عندما ذهبت لمدينة لندن وأجريت عملية زرع القرنية بالعين فكان لها دور في حياتي حيث نجحت وعدت أبصر ما حولي وما خلفي وما أمامي، غير أنّ الحياة لا تتم ولا تكمل، فقد نغّص عليَّ عجز الطبيب عدم وضع العدسة في العين، وأبدى تعليلاً لا أدري أهو عليل أم عجزٌ في الطب، حيث قال لي ابني الدكتور وديع عن طبيب القرنية إنّ وضع العدسة قد يحدث منها مشاكل، حيث إنّ موضعها أتلفه الماء الأزرق فصار ضيقاً، أخشى وقوعها بعد وضعها فتحدث للعين مشاكل نحن في غنى عنها؛ لأنّ مشاكلها تصبح أكثر ضرراً من نفعها، وهو يعلم أنّ العدسة لها دور خطير في رؤية المرء؛ لأنَّ العدسة تساعد على الرؤية كثيراً، فهي تقرب المناظر البعيدة وتوضحها، كما تعطي لمحة واضحة في المناظر القريبة.

فالعدسة لها دور خطير في رؤية العين، فإن حُرِمْتُ منها فقد أنعم الله عليَّ بهذه النعمة غير المترقبة، فأدعو الله أن يمدّها بنور الإبصار ونور الهدى الذي هو أفضل نعمة من نعمه، وأن يحفظها من كلّ آفة، إنه هو السميع العليم. ولا أنسى الضريبة التي دفعتها في سفري لعلاج العين بمدينة لندن، فقد دفعت ضريبة ضخمة، أسأل الله أن يعوضني عنها، وعشت على جناح ألم وقلق مسَّهد العين ساهر الليل كنجومه مدة أشهر طويلة ولولا منَّته وتفضله ودفعه عني الأضرار؛ لأنّ عيني كانت معرَّضة للأخطار فهي تحتاج إلى نوم ورعاية ويدٍ حنون ترعاها وتحافظ عليها.

ولكنني استقبلتُ بعد يومين من عودتي من رحلتي العلاجية من مدينة لندن بعواصف هوجاء تهدُّ عزم الحليم وتنسف الرواسي، ولكنني استقبلتها بصدر رحب أوسع من الفضاء حتى قذف الله في قلبي اللطف والرحمة وعوضني بعد تلك الأشهر بنعمة أفضل وقد عودَني ربي كلّما ابتلاني ببليّة لأنصهر في بوتقتها وأمُر بامتحان حصيب لأكتوي بوهجها يمنُّ عليَّ وينقذني منها ويعوضني بأفضل منها، فله الفضل والشكر.

أيها العام، قد انطويت بما فيك من ألمٍ واتراح، ومضيت في تلافيف الذاكرة الماضية، فأنت كسفرٍ يرجع لك المفكرون أو المؤرخون لينشروا صفحاتك ويقرؤون فيها ما مرّ فيها من تلك الأحداث أنْ بقيَتْ في ذاكرة تاريخ أيامك وأشهرك المنطوية في صفحات أيامك ولياليك لتبقى أقصوصة تروي تلك الأنباء للأجيال، وإلا فماتت وقبرت مع أيامك الماضية ونسيت وذهبت كما ذهبتَ.

وهكذا الحياة، ليل ونهار وعشية وأبكار، ومنها يتألف العام ليطوى ويأتي عام جديد، فمرحباً بالعام الجديد عام الثلاثين بعد الأربعمئة والألف هجري، عام تسعة بعد الألفين ميلادي، فنحن في القرن الخامس عشر وفي أوائل القرن الواحد والعشرين، فمرحباً بك أيها العام آملين من الله أن يمطرنا بمغفرته ورحمته ورضوانه وأن يجعله عاماً سعيداً محفوفاً بالخيرات وبالبركات.

والله الموفق لما يحبّ ويرضاه.. وسلام عليك أيها العام الماضي ومرحباً بك أيها العام الجديد.

1430/1/13هـ

2009/01/10م



نظرات نقديَّة

إنَّ خير الساعات هي ساعات تمرّ في طاعة الله والتسبيح له والإكثار من ذكره. يجب على العبد أن يشغل فراغه في ذكر الله وتسبيحه وطاعته، فإذا بقيت فضلةٌ من وقته فلا يضيعها هدراً، فإنَّ الساعات تضيع من العمر هباء، فالعمر هو ساعات فأنفقها في طاعة خالقك، وإذا بقيت فضلة منها فأنفقها في مطالعات الكتب وتحدث مع الأوائل وتكلم مع العصور السابقة والقرون الماضية لتأخذ من أولئك التجارب والدروس والمحن التي مرت بهم ومروا بها (فخير جليس في الزمان كتاب).

هذه القولة للشاعر العملاق أبي الطيب المتنبي الذي درس خلجات النفوس وتجارب الحياة وما مرّ فيها من صراعات وتهارش على جيفة من جيفها، فسجلها شاعرنا لحناً خالداً ووتراً تعزف عليه البشرية وتتغنى به الذين نجحوا في مادة الحياة، ويتسلّى به الذين فشلوا في هذه الحياة،

فشعره صورة ناطقة بالأفراح والآلام وبكلّ خلجة من خلجات النفوس الإنسانية، وقد اكتوى بوهج الحياة ورأى نفسه فيها مهضوماً على ما جاء به للإنسان من عبقرية ضخمة وإحساس مرهف وحاسة فنية تصور كعدسة المصور كلّ ما تقع عليه تلك العدسة من مناظر الحياة تصورها، فهو لا يقول شعراً إلا وفيه عتاب، اسمعه كيف يقول:

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه

إني بما أنا باكٍ منه محسودُ

ويقول:

يا ليت شعري هل أقول قصيدةً

وليس بها شكوى ولا أتعتبُ

أيها الشاعر العملاق، لستَ الوحيد يا شاعري الذي قست عليه الحياة ولم تعرف له وزناً أو مقاماً، فمثلك كثيرون وأنا أحد ضحاياها حرمتهم الحياة كلّ ما يتمنوه ويطمحوا له، وأنت أيها العملاق لقد وفَّت لك الحياة ناحية من النواحي وهي حياة الخلود الذكر في هذه الدنيا فأنت تدور في هذه الحياة الفانية كما يدور الليل والصباح، وإنَّ هذا الحديث لدليل على ما نذهب إليه، ولا أعرف السر كيف مشت بي الخاطرة التي أريد أن أكتبها وهي ساعات قضيتها في قراءة ديوان السيد حيدر الحلي تحقيق وشرح الأستاذ علي الخاقاني.

كيف طفت هذا الطواف وذهبت لأفق فكريٍّ بعيدٍ عن الأفق الذي أريد أن أدخل منه وأسجل ملاحظاتي في قراءتي هذا السفر الضخم

على الأستاذ علي الخاقاني، ولكنني أرى نفسي لم أبتعد عن هذا الأفق الذي أريد أن أسجل عنه تلك الملاحظات؛ لأنّ الأفق الذي دخلت منه وتحدثت عنه هو أفق واحد، فهو كمدخلٍ لما أريد أن أتحدث عنه وأعلق عليه تلك الملاحظات فيعتبر من صميم البحث، فعندما قرأت هذا الديوان للسيد حيدر الحلي وجدته عملاقاً في شعره صورة تجسّد الثورة الحسينية وما فيها من صور مأساوية وآلمٍ ناطقة ودنياً قد نبتت دماؤها أسهماً في قلوب الذين هم يحاربون الإسلام ويريدون القضاء علي.

ففي رثائه للإمام الحسين عليه السلام هو كالمتنبي، فإنه في رثائه إلى سيد الشهداء وأبي الأحرار وصل القمة، فعندما تقرؤه يهزّك هزاً، حتى نقل عن أمير الشعراء أحمد شوقي إعجابه بشعر السيد حيدر الحلي وكان يردد قصيدته:

عَثرَ الدهــرُ ويرجو أن يقالا   تَرِبت كـفُّك مـن راجٍ محالا

وهذه المقولة المنسوبة لأمير الشعراء سجلها الأستاذ علي الخاقاني في مقدمته في ديوان السيد حيدر الحلي، والشعر لا يميّزه إلا الشاعر؛ لأنَّ الجوهر لا يقيِّمُهُ إلا من يعرفه، وملاحظاتي على الأستاذ، وأنا أقرأ مقدمته للديوان، وبالحرف الواحد عند عنوان (مراثيه لآل البيت)، حيث أورد له رأيّاً أدبيًّا وكلّ مفكر هو حرّ في آرائه وأفكاره يجهر بها، سواء كانت طابقت الواقع أو خالفته، فرأيه له ومحترم، ويصح لنا أن نناقشه في رأيه، فإما أن نخالفه أو نوافقه ونقيم البرهان على مخالفتنا له، فهو يرى أنّ الشعر كان في عصر الجاهلية وفي صدر الإسلام الشعر الرثائي

محدود في أفق ضيق، ولمّا قُتل أبو الأحرار سيّد الشهداء الحسين بن علي (ع) اتّسع هذا اللون وامتدّ وتطور واتّسع أفقه.

أنا لا أنكر أنّ واقعة الطف طورت الشعر وولدت منه صوراً بلاغية ترعف بالمصاب وتقطر بالجراح، ففتحت للمفكرين والشعراء آفاقاً من البيان لم يكونوا من قبل يتصورونها أو يطيرون إلى آفاقها ولكنَّ الشِّعر الرثائي قبلها لم يكن محدوداً في بوتقة ضيقة بل كان شعراً عاطفياً ولا سيما إذا كان الرثاء ينبع من قلب حبيب في حبيبه، ولا يعجزني الدليل، وخذ مثلاً الخنساء في شعرها الرثائي لأخيها صخر، وكمثل آخر القصيدة التائية الرثائية لأبي الحسن الأنباري:

علوًّا في الحياةِ وفي المماتِ لحــقٌّ تلك إحدى المعجزاتِ

إلا إذا كان الأستاذ يريد أنَّ واقعة الطف خلقت وولدت أفكاراً شعريَّة وصوراً أدبية وتفنن فيها الشعراء والأدباء وحتى الشعر النبطي، أي الشعبي، كان له دور في هذه الواقعة. وشعر الحسكة وألوانٌ من الأشعار ومن الكتب والنثر ما لا يُعدّ ولا يحصى، فهي فتح فكريٌّ غزا العقول وغذّاها.

ولا تزال هذه الواقعة تتجدد وتمدُّ المكاتبات الفكرية بعطاء سخي تتجدد فيها الأفكار ولا تقتصر على اللغة العربية بل تمتدّ إلى جميع اللغات العالمية، فكما كتب العرب المسلمون والنصارى عن هذه الثورة فقد كتب عنها الأوربيون والأمريكان، بل أخال إنَّ جميع البشرية عندما تطلع على صور من هذه الثورة تعشقها وتحبّها، وهذه الفضائيات أخذت تبث تلك الصور المأسوية وتتحدث عن أسرار هذه الثورة وما

أعطت للإنسانية من كرامة وعزّة وفتح مبين عاد على البشرية بالخير والسعادة، فهذه حقيقة لا مراء فيها. ويؤسفني أنَّ الديوان لم يخلُ من تلك الجراحات، جراحات المطابع حيث شوهته وفي بعض الأبيات تغير معانيه وتشين صوره إلى حدّ التشويه.

هذه ملاحظاتي أخرج بها من قراءتي لهذا الديوان لأكتبها حرفاً، كما أني أشيد بهذه الجهود الذي قام بها الأستاذ فيشكر عليها؛ لأنها جهود كُرّست حول شاعر عملاق ترك ثروة ضخمة تعادل في تصويرها وفي فنها الشعري الرثائي في أبي الأحرار وسيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام كشعر المتنبي في حكمياته وخلجاته، كثر الله أمثاله ورحمه الله وجعله في جناته جزاءً لما قام به في إخراج سفر يتحدث عن مأساة أبي الأحرار، وكثّر الله أمثاله المخلصين للفكر، العاملين لنشره.

والله ولي التوفيق

1430/1/14هـ

2009/01/11م





ساعات بين الكتب

من خير ساعات تمرّ على المرء في حياته وهو يسامر الكتب ويتحدث مع مفكرين غابوا عن هذه الحياة وقد مضت عليهم قرونٌ التحفوا وراء تلك القرون ولكنهم قد يكونوا أقوى من الأحياء، كأنهم يشاركون في هذه الحياة ويتنسّمون تيّارها ويصطلون بوهجها، فهم حضَّر غياب. هكذا يخلّد الفكر ولو لفترة من فترات الحياة؛ لأنّ الخلد في الدنيا على مراتب قد تطول وقد تقصر، فالخلود لله وحده، وكلّ من عليها فان، وهذه عبرة للبشر وآية من آيات خالق السماوات والأرض الذي إليه ترجع الأمور.

فهذه الفترة التي أشرنا إليها في هذا الحرف هي فترة من ألذّ ساعات العمر وأسعدها إذا كان المفكر يهضم القراءة حتى يصل به إلى النهم فهو يلتهم الحرف كما يلتهم الطعام، ويحسّ بخواء في الفكر كما تحسّ معدته بالتزاز للأكل، فهذه الفترة من أحلى الفترات ولا سيما في هدأة الليل إذا سكن الشجر وهدأت حركة الكون وأخلد كلّ شخصٍ يغطّ

في عميق سباته، وأرسل القمر أضواءه على عرائس النخيل متموج في صفحات النهر، وتجلت الطبيعة في أبدع شكل تظهر محاسنها، فما أحلى هذه الفترة التي يصفي فيها العقل ليناجي تلك الأفكار وكأنه يخاطبهم ويتحدث معهم ويتناجى معهم ولكنها نجوى الأرواح للأرواح لا نجوى الأشباح للأشباح، فتحلو النجاوى في هدأة الليل عندما تصمت مياه الحياة وتسكن الأشجار وتهدأ الحركة ويصفو الجو وكأنك تعيش في هدأةٍ روحية وتستلذّ بتلك المعاني وتستوحي من أفق السماء الإلهام فتسكبه في حروف تسري فيها الأنوار كما يسري الفجر في قلب الحياة.

فأنت في نجواك تقرأ ذلك السفر الذي انسكبت في حروفه أفكارهم تتمشى أرواحهم كالضوء في الحروف، فكأنَّ روحه تناجيك من خلال ذلك الحرف الذي أودع فيه عصارة فكره ومزج روحه في ذوبانٍ تسري في تلك الحروف، فهو لا يقرأ حروفاً إنما يقرأ أرواحاً انبعثت أفكاراً تتجسّد أمام عينيه وتتحدث معه عن تجربة عاصرتها تلك الأرواح ومرّت بهم ومرّوا بها، فيقبسون منها عِبراً يسيرون على ضوئها.

وإنّي لأعجب من شبابنا ومن مفكرين لا يحفلون بقراءة الكتاب ويصدفون عن هذه العبر التاريخية التي فيها تلك التجارب ليستفيد منها ويتجنب الأخطاء التي وقع فيها أولئك السابقون، وبعض مثقفي هذا العصر لا يحفلون بالكتاب ويقضون أوقاتهم في فراغ ضائع حتى تنتهي حياتهم ولم يعرفوا عن ماضيهم وتاريخه فهم جاهلون به، ومن لا يعرف ماضيه فلا يفهم حاضره؛ لأنّ الحاضر هو مرآة للماضي وحلقة من حلقاته ترتبط به ارتباط الجزء بالكلّ، وهم يجهلون حتى حاضرهم،

فكيف يكلفون أنفسهم لقراءة الماضي، فمتى يفيقوا هذا الشباب ويعودوا لحياة جدّية.

هذه الخاطرة كان الباعث لها ساعات قضيتها في ديوان السيد حيدر الحلي بتحقيق الأستاذ علي الخاقاني، وسبق لي أن علّقت ملاحظة على المحقق الأستاذ علي الخاقاني، ولكنّ الباعث هنا ما أوحت لي تلك الدراسة ومن نتيجة هذه الدراسة طلعت بها وميّزت بها ذلك الشعر للشاعر العملاق في رثاء أبي الأحرار سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليهم (ع) فخرجت من تلك الدراسة بنتيجة أنّ الشاعر متعدد الألوان والصور في جميع أشعاره، وفي كلّ لون صورة، ولكنني عندما قرأته وجدته يتميز في رثائه لأبي الشهداء، فهو ينفرد بصور بليغة في تصويره ذلك الحدث العظيم وتلك المأساة الفظيعة التي لم تجري لها أخت في التاريخ، ويزيدها فظاعة قتل الإمام الحسين بعد معرفتهم أنه ابن رسول الله وسبي ذراري الرسول ومعاملتهنَّ تلك المعاملة التي لا يعاملها أحد في الأرض حتى مع الزنوج أو الديلم أو أحقر الناس، فكيف ببنات نبيّنا الذي جاء رحمة للعالمين وإنقاذاً من الظلمات إلى النور، فكان هذا جزاءه من بعض أمته.

فالشاعر السيد حيدر في ملاحمه الكربلائية كان كالمتنبي في تصويره الحياة وخلجات النفوس فضرب مثلاً رائعاً؛ لأنّ سماء كربلاء أوحت له ألواناً من الصور المأسوية المصبوغة بالدم فأعطاه لوناً رائعاً وجسَّد لنا تلك المأساة كأننا نشهدها شريطاً سينمائياً ومشهداً يمثل على مسرح الذكرى في صور رائعة قلَّ من يصور تلك الصور.

أما في شعره الذي قسّمه المحقق الأستاذ علي الخاقاني إلى: الرثاء والمديح والعتاب والتهاني، فعندما قرأته وجدته عملاقاً في رثاء الإمام الحسين، ولنضرب لذلك مثلاً رائعاً في قصيدته العصماء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام::

عَثرَ الدهرُ ويرجو أن يقالا	**تَرِبت كفُّك من راجٍ محالا**
أيُّ عذرٍ لك في عاصفةٍ	**نسفت مَن لكَ قد كانوا الجبالا**
فتراجع وتنصّل ندماً	**أو تخادع واطلبِ المكر احتيالا**
أنزوعاً بعد ما جئتَ بها	**تنزُع الأكبادَ بالوجدِ اشتعالا**
قتلت عُذرك إذ أنزلتَها	**بالذرى من هاشم تدعو نِزالا**

تأمل معي، أيّها القارئ، لتشاهد صورة من الصور الرائعة التي تبعث الدَّم حيَّاً في نفس الرجال الأبطال الذين يستعذبون الموت في طريق الشهادة، فعندما تقرأ هذه القصيدة وتستغرق في قراءتها بعمق تشاهد روحاً تتوثب أقتبسها شاعرها من سماء ملحمة كربلائية أعطت البشرية دروساً فيها شعلة من الحرية ولا تعرف الخضوع والذلّ، فهذه القصيدة اللامية لوحة من لوحات الفن تصور لك مأساة العظمة وتجسّد دنياً من الكرامة.

فالشاعر يخاطب الدهر بأسلوب فيه من الحماسة والقوة ما يثير العواطف، فيصور أنَّ الدهر عثر ويطلب الإقالة ولكنه بعد فعلته في ابن رسول الله لا يقال. ويستمرّ الشاعر في صورته التعبيرية الفنية حتى يصل إلى آخر القصيدة، فعلى القارئ أن يرجع لها فيقرأها ليرى

الصور المتحركة وتجسيد المشاهد الميدانية المأسوية، فعندما يقرأها سيوافقني على ما أقوله.

ومن قصيدة له:

قد عهدنا الربوع وهي ربيع	أين لا أين أُنسها المجموعُ
درج الحيُّ أم تتّبع عنها	نجع الغيث أم بدهياءَ ريعوا
لا تقل: شملها النوى صدعته	إنما شملُ صبري المصدوعُ
كيف أعدت بلسعة الهمّ قلبي	يا ثراها وفيك يُرقى اللسيع
سبق الدمعُ حين قلت سقها	فتركتُ السما وقلت الدموع

ونريد أن نؤكد على ما ذهبنا إليه من رؤيتنا أنَّ السيد حيدر في رثائه لأبي الأحرار كأبي الطيب المتنبي الذي لا يشقّ غباره، وقد سجلنا لك أيّها القارئ قطعة من قصيدته العصماء لتثبت ما نذهب إليه من رأي، وقد سجلنا لك أنموذجاً ثانياً لتشاهد صورة متحركة في رثاء أبي الأحرار يبدؤها الشاعر العملاق في هذا الفن بأبياتٍ فيها لهفة وحسرة على الماضي الذي ينسلخ من حياة المرء، فهو يحنّ إليه؛ لأنه جزء من عمره.

وكلّما انتهى يوم وانطوى وراء تلافيف التاريخ بكى عليه المرء؛ لأنه لا يستطيع على رده ويدفعه إلى عتبة الشيخوخة، إلى عتبة الوهن والضعف، فالشاعر بدأ تلهفه بذكره إلى أيامه والربوع التي قضاها التي كانت تشبه الربيع، فهو يتساءل، ولكنّه تساؤل فيه حسرة على ما انقضى من تلك الأيام التي هي مسرح للأنس، وكأنّ الأنس قد ضمته سلة من الورد أو سلة من النجوم.

ويوغل الشاعر في لهفته وحنينه إلى الماضي فيعطينا صورة تصف وتجسّد حنينه فيردد تلك اللهفة التي فرَّت من يده كما يفرُّ الحلم من الجفن، فكأنها أُصيبت بدهياء، أي بمصيبة ضخمة، قضت على أحلامه، ويعود فيصف تبدد الشمل الذي جمعته تلك الربوع فيضرب مثلاً رائعاً، فإنّ الشمل لم يبدده البعد، وإنما صبره هو الذي تصدع، وذلك مثل رائع؛ لأنه توطئة حتى يلج إلى معركة الطف.

وعلى القارئ أن يقرأ هذه القصائد ليخرج برؤية واضحة وبنشوة تهزّه إن كان لديه ذوق ومعرفة بالفنّ والشعر.

ومن قصيدة له أيضاً:

فقال لها اعتصمي بالإباءِ ... فنفسُ الأبيّ وما زانها
إذا لم تجد غيرَ لبسِ الهوانِ ... فالموت تنزعُ جُثمانها
رأى القتلَ صبراً شعار الكرام ... وفخراً يُزين لها شانها
فشمّر للحرب في معَركٍ ... به عرك الموتُ فِرسانها
وأضرمها لِعنان السماءِ ... حمراءَ تلفحُ أعنانها

***

أيّها القارئ العزيز، ضربت لك صوراً من هذا اللون الذي برّز فيه الشاعر وطلع علينا عملاقاً كأنه المتنبي في تصوير أحداث معارك الحرب التي خاضها سيف الدولة، فاسمعه وهو يتحدث ويعطي ظلاً من صورة موقف أبي الأحرار، يوم أُفرِدَ في معركة كربلاء، ولكنه وقف لا يبالي بالموت وقع عليه أم وقع عليه؛ لأنه على الحقّ وصاحب مبدأ

سامٍ يريد أن يحققه وينصر دين جدّه الإسلام الذي جاء به نبي الرحمة (ص) وآله لينقذ هذه الأُمة من الجاهلية الصنمية الهبلية، فاسمعه وهو يصف ذلك الموقف وكأنه يتحدث بلسان الحسين يصور إباه وموقفه الذي أسحره في وجه الظلمة حيث فجر تلك القنبلة التي لا يقولها إلّا من هو شعلة من ضوء الرسول: (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

فهو يخاطب نفسه أن تعتصم بالإباء وألّا تّذل للطغاة الظلمة الذين يعيثون فساداً في هذه الأرض، فإنّ الأبيّ عندما يعتصم بإبائه فهي صورة تزينه وترفعه في سماء الأحرار، فإنّ نفس الأبيِّ إذا ضيقت وحسرت بين موقفين، إما الهوان أو الموت، فإباؤها يفضّل لها الشهادة أفضل من الهوان.

وهذه الصورة اقتبست من كلمات أبي الأحرار بين السّلة والذلة وهيهات منّا الذلة، نفوس أبيَّة تؤثر طاعة الكرام على طاعة اللئام، فهذا الشعار الذي رفعه أبو الأحرار سيّد الشهداء مشعلاً متوهجاً يضيء إلى الأحرار ما دام هذا الكوكب يدور حول الشمس وحتى يزول هذا الكوكب وتطوى السماء كطي السجل.

وكان نتيجة ذلك الإباء أن يضرمها حرباً يصل صداها ووهجها ويطبِّق صداها آفاق السماء والأرض، فكانت ثورة بيضاء أعادت الدين إلى جدته، فالرسول ﷺ وآله مسح الأصنام وهدى البشر، وسبطه ردَّ البشر الطائش المنحرف إلى سنة جدِّه ليسير في مبادئ مسار السنة النبوية.

ولندلل على ما ذهبنا إليه ليرى القارئ الحقيقة التي وضحت لنا في

رؤيانا لشعر السيد حيدر الحلي، فهو ضَرَبَ المثل في الشعر الحسيني، ولعلّ الفضل في ذلك لسماء كربلاء التي ألهمته هذا الشعر وهذه الصور التي تنطق بالمأساة ولا ينكر شاعريته في غير الشعر الحسيني، إلا أنه بالقياس إلى شعره الرثائي الحسيني وشعره الآخر الذي يبتعد عن الرثاء الحسيني فهو قمة وسفح، ونضرب للقارئ أمثالاً ليحكم بنفسه فيجد الفرق ويلمسه بذوقه السليم.

قال مهنياً العلامة الشيخ محمد حسن الكاظمي في مرض عوفي منه:

قد كان داؤك للشريعة داءا
فالآنَ صار لها شفاك شِفاءا

نزعت يدُ الباري سقامكما معاً
وكستهُ شاغلةً به الأعداءا

مسحت غبارَ الداءِ منك بصحةٍ
كانت لوجه المكرُمات جلاءا

قرَّت بها عينُ الهداية وانثنت
عينُ الحواسدُ تشتكي الأقذاءا

والمجدُ أعلنَ في البريّة هاتِفاً
بشرى بصحّة من شفى العلياءا

وقال مخاطباً الحاج محمد حسن كبّه:

أنجومٌ بنورِها يُستضاءُ
نَثرتها بأُفقها العلياءُ

أم مزايا تودُّ لو أنَّ منها
فَصَّلت نظمَ عقدِها الجوزاءُ

مكرماتٌ بنشرِها الفضلُ يحيي
لكريمٍ لولاهُ ماتَ الرجاءُ

لا تَقِسْ (واصلاً) بمن كلِّ يومٍ
واصلٌ للوفودِ منهُ عطاءُ

كرمٌ تستهِلُّ في كلِّ قُطرٍ
من غواديهِ شَتوةٌ غبراءُ

***

إنّ في هاتين القطعتين تجد البون الشاسع في شعر الشاعر العملاق السيد حيدر الحلي رحمه الله، فهنا وهو يهني ويمدح تجده يأخذ الصورة التقليدية التي درج عليها الشعراء القدامى، فهي صور تتكرر، ولا أنكر أنّ الروح الشاعرية تسري.. تجدها تسري في هذا الشعر، وتدلّ

على قدرته ومهارته في التصوير الشعري ولكنّ الشاعر في رثائه في الشعر الحسيني قمة؛ لأنه لم يسر على الصورة التقليدية بل استلهم الصور من الملحمة الكربلائية واستوحى من صورها التي أرعفت الدهر وأقرحت العيون حتى أبكت الصخر الأصم؛ لما ارتكب في تلك الملحمة الكربلائية من أعمال فظيعة وصور مريعة، فكلّها أوحت له ذلك الشعر الذي رفعه إلى القمة.

أما في غير هذه الملحمة الكربلائية علا في شعره وفاقَ الشعراء التقليديين، ولكن ستبقى روحه الشاعرية تنسكب في حروف ذلك المديح أو ذلك العتاب أو الإخوانيات، وقد كان الفارق كما صورناه كبير.. كبير.

فهو شاعر في أدوار شعره، إلا أنه يتميّز برثاء سيّد الشهداء، ولنثبت هنا أنموذجاً من رثائه غير الشعر الكربلائي.

وقال راثياً الشاعر الشيخ صالح الكواز ومعزّياً السيد مهدي القزويني:

كلَّ يـــومٍ يسومني الدهـــرُ ثكلا

ويريـني الـخطوبَـــ شكلاً فـشكلا

وبصـــبري يجدُّ خلـفـــ حبيبٍ

منه طـــرفي لا القلب يخلـــو محلا

أودع الأرض شـــخصه ثم أدعو

أين ركبُ الـــمنون فيك استقلا؟

يا عذولي صبابتي علّماني

كيف تسلى الهموم لا كيف نسلى؟

خلياني من مورد الصبر إنّي

قد وردتُ الأشجان علّاً ونهلا

* * *

وقال راثياً سليمان ابن العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني:

همومٌ نوى البرءُ منها ارتحالا

فلا تبعث الداء إلا عضالا

وطفلُ الأسى لم يجد من رضاع

حشا حالب الفضل يوماً فصالا

عفاءً على الدهر من ناقصٍ

على الكاملين تجنّى خبالا

أجال عليهم خيول الخطوب

ولو مثّلت لا استقالوا قبالا

ولو عرف الدهرُ قدر الكرام

لكفَّ غداة إذ ما أجالا

كما شاهدت ولمست في قراءتي في شعره الرثائي غير أبي الأحرار تتخلل حروفه وثبات العبقرية إلا أنه لا يسمو لرثاء أبي الأحرار سيد الشهداء والصور الناطقة التي تجسّد لك المأساة وتنقلك فجأة إلى ميدان المعركة بكربلاء.

هذا ما رأيته وتوصلت إليه، وقد سجلت لك أيّها القارئ، بعضاً من نماذج قصائده التي أشرنا إليها، ومن شعره الرثائي غير الشعر الكربلائي ومديحه وتهانيه، ولك الرأي في موافقتي أو مخالفتي.

وللقارئ أن يرجع إلى ديوانه فيقرأه ويحكم بنفسه، وله الحرية في الموافقة أو المخالفة في الرؤية التي ارتأيتها، وهذا الحرف كتبته من خلال قراءتي لهذا الديوان، فكان عليَّ أن أنوّه بفضل هذا الشاعر الكبير الذي صور لنا ملحمة الطف في شعر يردد مدى الأزمان، فهنيئاً له وجزاه الله خيراً، وصبّ الله على قبره شآبيب الرحمة والرضوان.

1430/2/12هـ

2009/02/07م





سيد الشهور

الإنسان منذُ وضعته أمه على هذا الكوكب الذي نعيش عليه ونتمتعُ بما فيه من نعم وخيرات من خالقه سبحانه وتعالى فضّله على جميع المخلوقات وسخّر له هذا الكون بما فيه من برّه وبحره وسمائه وأرضه، يتبوأ حيث شاء منه بما أقدره الله عليه ومّده من لطفه وكرمه، ولكنّ الإنسان جحود لا يقدّر هذه النعم.

فقد سخّر له الشمس والقمر والنجوم ليعرف عدد السنين والشهور والأيام، وطهّر له روحه بالعبادات الروحية والمناجاة الإلهية التي توصله بخالقه وتحوله إلى إنسان ليتحلى بأخلاق لا يحلم بها، ففرض عليه الصلوات وهي الصلة بين العبد وربه والرابط الذي يبعده عن الفحشاء والمنكر، وفرض عليه الزكاة والخمس تنميةً في أمواله وتطهيراً لها، كما فضّل له أياماً على الأيام، أياماً جعلها أعياداً لهم ليثيبهم فيها ويزيدهم ويضاعف أعمالهم في تلك الأعياد أضعافًا، إلى نسبة الأيام الأخرى.

وجعل في الشهور شهراً هو سيّد الشهور وكرّمه وعظّمه وشرّفه على

الشهور، هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر فأوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق الرقاب من النار، تغلق فيه أبواب النيران وتفتح فيه أبواب الجنة وتقيّد فيه الشياطين فلا تسمع لهم همساً ولا صوتاً ولا نأمة، فويلُ لمن يمرّ عليه هذا الشهر ولم يغفر له؛ لأنّ أنفاس الصائم تسبيحٌ ونومه عبادة وذكر الله شرف للذاكرين وشكره فوزٌ للشاكرين وطاعته نجاة للمطيعين، فكيف إذا أقام بهذه الأوراد بأسحار شهر رمضان كان من الفائزين الرابحين.

وقد أطلّ علينا هذا الشهرُ شهر رمضان من عام 1436هـ وكان هلاله المبارك فاتحة أول لياليه الخميس الموافق 2015/6/18م فاتحاً أبوابه ومرسلاً أنواره في صدور المؤمنين والمؤمنات الصائمين والصائمات الذين صاموه إيماناً واحتساباً خالصاً لله وحده لا شريك له، فأولئك ربحت تجارتهم.

لقد أطلّ علينا هذا الشهر الفضيل هاتفاً بنا هلمّوا إلى المائدة الكبرى فتزودوا فنعم الزاد التقوى، فيتحول ليله إلى نهاره، فتسمع تلاوة القرآن من أكثر البيوت والحسينيات وبعض المجالس التي تعقد في هذا الشهر العظيم والمذاكرات العلمية والأبحاث الفكرية يدارسها كوكبةٌ من رجال العلم في بعض النوادي كنادي كاتب هذا المقال وتاريخه: أكاديمية، حيث بدأ هذا النادي عام 1357هـ في مدينة القلعة حاضرة القطيف في الماضي ، وكان عمري يقارب الرابعة عشرة وبعد لم أبدأ الدراسة الحوزوية.

منذُ أن يطلّ شهر رمضان تتحول أمسيات النادي من دوامها في نهار أيام الفطر إلى ليالي رمضان، يبدأ من الساعة العاشرة حتى الساعة الواحدة. ونادي الفكر يرحب بهذه الثلة التي هي من خيرة الصالحين والمفكرين وفي طليعتهم العلماء والفضلاء كالشيخ محمد العصفور، والشيخ جعفر الربح، والشيخ ميثم منصور الخنيزي، والشيخ حسن الخنيزي، والأستاذ الشاعر محمد رسول، والأستاذ الشاعر الأديب أحمد أبو السعود، والصحفي الأديب محمد رضا نصرالله، والصحفي فؤاد نصرالله صاحب مجلة الخط، والأستاذ أحمد القطان، وأبو بدر اليوشع، وباقي المفكرين والأدباء، وصاحب المقال.

تُقدّم على هذه المائدة أطباق من الفكر المتنوع، كالبحث في تفسير بعض الآيات الكريمة وألوان من المسائل الأصولية والفكرية والفلسفية وباقاتٌ من الشعر العربي قديمه وجديده ومن ألوان مختلف عصوره في أطباق جديدة التعبير، نعرض من هذا الفكر الطبقي مقطعاً كنزياً من الكنوز التي لا يصل لمعانيها وبلاغتها البشر، إنّما هي أشعة من رسول لله يلقيها ويفيضها على أهل بيته، وهذا المقطع من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في كلّ ليلة من ليالي الشهر العظيم شهر رمضان، وهو نور من أنوار أهل البيت اقتبسوه من جدهم النبي الخاتم صلى الله عليه وآله؛ لأنهم كلّهم نور، وهو الدعاء المنسوب للإمام المنتظر عجّل الله فرجه ووفقنا إلى نصرته حيث يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وكان سؤالي في مقطع منه: كيف كان في الدعاء هذا التعبير البليغ يخلقُ ولم يخلق، ويرزقُ ولا يرزق، ويطعمُ ولا يطعم؟ ما هي النكتة في

تعبيره يخلقُ ولم يخلق وفي يرزقُ لم يقل لم يرزق وإنما قال لا يرزق، فما هي النكتة البلاغية؟

دار النقاش حول هذه النكتة البلاغية ولم نتوصل إلى حلٍّ في تلك الليلة، وفي الليلة الثانية قلت لأصحاب الفضيلة والأساتذة:

لعلّ النكتة البلاغية أنّ فعل خلق، ويفهم من مادته الهجائية الطبيعية أنّ الخلق الحقيقي هو لله وحده لا شريك له فنفاه بلم النافية الجازمة، أما الرزق فقد يتوهم الغني أو الحاكم أنهم إذا أعطوا شخصاً مثلهم من البشر أنهم رزقوه، وجاء بلا النافية للجنس ليزيل هذا التوهم ويحصر الرزق لله الفرد الصمد الذي لا يستطيع غيره أن يرزق شخصاً مثله رزقاً حقيقياً مستمراً؛ لأنه لا يملك قدراتٍ ولا مدًّا حقيقيًّا وإنما هو مستخلف من خالقه مما خوله فيه، كما نصّت الآية الكريمة رقم 6 من سورة الحديد: (ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير).

فالآية تؤمر بالإنفاق، وهذا الإنفاق مستخلفين فيه عن إلهنا وهو مالكنا ومدبرنا.

كما نحب أن نشير إلى زيارة أعضاء نادي الكوثر وفي طليعتهم: رئيس النادي الأستاذ الشاعر حسن الشيخ عبد الكريم الفرج، مع رئيس مركز الشاعر ابن المقرب مع ثلة من الشعراء: نادر محمد الشيخ محمد علي، السيد عبد الأمير السلمان، جاسم حسين المشرف، ناجي بن علي حرابه، علي مكي الشيخ، ياسر بن عبدالله آل غريب، فريد عبدالله النمر، مجتبى علي آل سنبل، جاسم الصحيح، علي بن الملا طاهر البحراني.

وكانت ليلة ممتعة أدرناها على نقاشات في الشعر العربي وبعض الشعر الشعبي، فأشكرهم على هذه الزيارة التي تفضلوا بها، كما أشكرهم ثانيةً إهداءهم لي بنات أفكارهم، ولهم الشكر العميق والتقدير، وكانت هذه الزيارة في ليلة الجمعة من الشهر الفضيل المشار إلى تاريخه، ونسأل الله أن يعودنا على هذا الشهر العظيم ويغفر لنا ذنوبنا إنه هو الغفور الرحيم.

19/ يوليو /2015م

3/ شوال 1436هـ





عبقري غطّى عليه جدار التاريخ

نشرت في الواحة العدد الحادي والعشرين - الربع الثاني 2001م

مع رجال عاصرتهم (8) تعقيب وتصحيح

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

توطئة: جهد وطني .. ولكن

إنّ التاريخ وثيقة من الوثائق الثمينة الغالية التي هي أمانة في أعناقنا، وبالتاريخ تحفظ المآثر وتخلد الأمم وتعيش الأفكار أنواراً تهدى السائرين في عتمة الحياة وفي دروبها الملتوية، فالتاريخ ركيزة من ركائز الحياة الماضية والآتية، فإذا انطمست ركيزة أو انحرف مؤرخ، أو نسي أحداث التاريخ جاء التاريخ مجانباً للحقيقة المنشودة.

وقد يظلم بعض الشخصيات ويضفى على بعض الشخصيات، وكم من عبقري غطّى عليه جدار التاريخ ودفنه ركاماً بين أيامه ولياليه. لا أريد أن أطيل الحديث حول حركة التاريخ وسكونها وما اكتنفتها من

ظروف وأهواء وريشٍ رسمت للتاريخ مناظر بعضها صورت الحقيقة وبعضها جانبتها.

إنما أردت بهذه التوطئة القصيرة لأدخل إلى موضوع قرأته في مجلة الواحة الغرّاء في عددها العشرين الصادر في الربع الأول عام واحد بعد الألفين ميلادي ضمن ملف القضاء، فالقضاء ليس هو مؤسسة اجتماعية أو كإحدى المؤسسات التي هي كأداة تؤدي دورها في المجتمع ثم تنتهي، إنما القضاء منصب مقدّس في الإسلام منذ بعث خاتم الأنبياء ﷺ.

فدوره الفصل في حياة المجتمع تدور عليه في أحكامه كالنفوس والأموال والدماء والفروج والأعراض. والقضاء في المملكة العربية السعودية: قضاء إسلامي يرتكز في أحكامه على دعامتين (الكتاب والسنة) فهو من أقدس المناصب، وحتى في البلاد المدنية كالغرب، التي لا تستعمل القضاء في البلاد إلا حسب قوانينها المدنية التي تضعها، فهو لديها محترم ومقدّس.

ولا أريد أن أدخل بك يا قارئي في بحث متشعب وهدفي من هذا التعقيب أن أصحح بعض المفاهيم التاريخية التي وقعت في مقال الأستاذ الصديق/ السيد علي السيد باقر العوامي تحت عنوان

(رجال عاصرتهم - الشيخ أبو عبد الكريم الخنيزي).

والأستاذ/ العوامي: يُشكر على هذه الجهود الوطنية التي قام بها في هذه الحلقات المتوالية وهدفه الإخلاص والإشادة برجالات بلاده ولكنَّ صدأ التاريخ والفجوة الزمنية أوقعته في خطأ بعض مفاهيم للتاريخ

ونسيان لحوادثه البعيدة التي مرّ عليها أكثر من نصف قرن، وليتّسع صدره لردى وتصحيحي لبعض الأخطاء.

أولاً: احتكار الخدمة السياسية والاجتماعية

ذكر في صدر مقاله تخصيص الزعيم الشيخ/ أبي عبد الكريم الخنيزي (ر. هـ) انفراده بالخدمة السياسية والاجتماعية دون غيره، ونسي الشيخ محمد على الجشي والشيخ منصور آل سيف الذي هو أحد الزعماء، والشيخ حسن علي البدر والإمام الشيخ أبا الحسن الخنيزي فإنه (أي أبو الحسن الخنيزي) خدم هذه البلاد وقضاياها الاجتماعية والسياسية منذ وطئت رجله أرضها في رجب عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمئة والألف هجري، منفرداً تارة وأحياناً مع ابن أخيه وطوراً مع بعض الشخصيات كالزعيم علي بن حسن أبو السعود والعلامتين الشيخ محمد على الجشي والشيخ منصور آل سيف وأحمد سنبل والزعيم عبد الله نصرالله، مضافاً إلى أعباء القضاء حتى رحيله عن هذه الدنيا الفانية.

وسوف أُذكِّره ببرهانٍ حيٍّ، فقد حضر السيد علي العوامي تركة الإمام أبي الحسن الخنيزي وابتاع منها ثلاجة بأربعين روبية. وفي تلك الجلسة أحضر الأخ الشيخ حسن أبو عبد الواحد (ر. هـ) منضدة ابتاعها عبد الحميد سعود أبو السعود، والشاهد هنا حيث كانت تضم تلك المنضدة أوراقاً للشيخ أبو حسن الخنيزي تدور بينه وبين المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيّب الله ثراه، فأخرج الأخ أبو عبد الواحد من داخل المنضدة تلك الأوراق حيث إنه لا تتبع المنضدة في البيع، وأردف الأخ أبو عبد الواحد: هذه وثائق غالية عندي؛ لأنها تدور بين

أبي وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيّب الله ثراه، وأذكر من ضمنها برقية مرفوعة من الشيخ أبو الحسن الخنيزي بتوقيعه الخاص تدور حول حادث السيد الصفواني، وهذا الحادث وقع في الخمسينيات بعد الثلاثمئة والألف هجري، وهذه الأوراق كلها صارت عند الأخ أبي عبد الواحد، وما أدري ماذا فعل بها الزمن.

وأنت يا أستاذ أبا كامل.. قد صار عندك تداخل، حيث أشرت إلى طبيعة عمل الشيخ منصور آل سيف والشيخ محمد علي الجشي حيث قاما بزيارة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في مهمة وطنية، كما أشرت للعلامة السيد ماجد العوامي في اشتراكه في بعض الأحداث، فتخصيصك للزعيم أنقضته بنفسك على نفسك، ونحن لا ننكر دور الزعيم الشيخ أبي عبد الكريم الخنيزي في خدمة هذا الوطن وتضحياته إنما حصرك فيه دون غيره يخالف الحقيقة التاريخية ويغمط حقّ الآخرين.

ثانياً: حصر القضاء في فرد

يا أستاذ أبا كامل ..

حصرت القضاء في الزعيم/ أبي عبد الكريم الخنيزي وقلت عندما مرض أناب عنه عمّه في القضاء، وكلتاهما غير صحيح، فأبو الحسن الخنيزي منذ وطئت رجلاه أرض الوطن كان يقضي بين الناس، فالخنيزيان هما القاضيان للطائفتين (الشيعة والسنة)، وقد رأيت الخصمين يأتيان مع (الخوي) بأمر من الأمير يترافعان عند الشيخ أبي الحسن الخنيزي، وأنا أسوق لك البراهين:

ففي عام سبعة وخمسين بعد الثلاثمئة والألف هجري وقع نزاع بين سعيد الضامن وعبد الله بن حسين الفرج، أحيل رسمياً للإمام الخنيزى وكان المحاميان لهما: حسين الشبيب عن سعيد الضامن، وحسن الفرج عن عبد الله الفرج، وبتّ فيه بالوجه الشرعي بعد أن عجز غيره عن حلّها، وتفاصيل هذه القضية ومصدر روايتها في كتاب خيوط من الشمس.

وقد رأيت الشاعر خالد الفرج مع أحمد البقشي يترافعان عند الإمام الخنيزي قرابة عام التاسع والخمسين، وفي العام نفسه بعد وفاة السيد مكي المشقاب عام ثمانية وخمسين بعد الثلاثمئة والألف هجري أحيلت معاملة رسمية من شرطة القطيف هي شكوى من المرحوم حسن علي المرزوق حول ميراث زوجه من زوجها السابق السيد مكي المشقاب على وصيه السيد إبراهيم المشقاب.

أما قولك يا أستاذ: فقد عمل أبو الحسن الخنيزي في القضاء بالنيابة عن ابن أخيه، فلا صحة له، ولا أدري من أين أتيت بهذه الرواية، وليس هناك محكمة تجمع رئيساً ونائباً وكتاباً إنّما كلّ من الخنيزيين يقضيان في بيتيهما بدون مرتب ولا أوراق ولا دفاتر، كلّ هذا من جيبهما قربةً إلى الله، وهل هناك أمر من ولي الأمر يخوّل أو يأمر الشيخ أبا عبد الكريم بجعل عمّه نائباً عنه؟

وإنني لم أسمع بهذه الرواية وأنا اللصيق بالخنيزيين إلا منك يا أبا كامل بعد أن مرّ على هذه الأحداث أكثر من نصف قرن، ويا ليتك تسندها لراوٍ من الرواة وأنت المعاصر لهما، ولكن قد تصدأ الذكرى.

وهناك براهين، كقضية العلامة الشيخ محمد بن نمر حينما رفع عليه دعوى آل رقية والشيخ محمد توفي عام ثمانية وأربعين بعد الثلاثمئة والألف هجري حين رفض التقاضي عند غير الإمام أبي الحسن الخنيزي، وأريد أن أوضح نقطة عن سير القضاء:

فقد كان يأتي الخصمان اختياراً وطوعاً للخنيزيين، وإذا رفض المدّعى عليه الحضور لدى الشرع طوعاً عليه هدّده المدّعى بالخروج على الشرع ونزل من الأعين عند الناس.

ليس فقط قضية المرهون

والأغرب منك يا أستاذ قولتك إنّ الشيخ أبا الحسن الخنيزي لم يتدخل في قضية اجتماعية سياسية إلا في قضية الشيخ منصور المرهون وابنه الشيخ علي؛ لأنّ الشيخ أبا عبد الكريم كان في البحرين، وغريب جدًّا؛ لأنّ قضية الشيخ منصور وقعت في يوم الثامن من شوال عام واحد وستين بعد الثلاثمئة والألف هجري، والشيخ أبو عبد الكريم لم يسافر إلى البحرين إلا في شهر محرم عام اثنين وستين بعد الثلاثمئة والألف هجري.

وأبو الحسن الخنيزي لم يتوقف في مسيرته الدينية أو الاجتماعية أو السياسية على أحدٍ من الأشخاص، بل هو حركة دائبة لا تعرف التفتير في خدمة هذا الوطن في جميع قضاياه وفي مواقفه المشهودة كالمطالبة في تخفيض الزكاة وغيرها من المطالب الوطنية، وتشهد له المكاتبات التي بينه وبين جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود التي أشرنا إليها.

وعندما وقف المرحوم عبدالله بن حسين آل نصر ضدّ الشيخ أبي عبد الكريم، كان الشيخ أبو الحسن الخنيزي يناصر ابن أخيه؛ لأنه على الحقّ، فيرسل إلى مقلّديه فيسحبون توقيعهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر (إبراهيم الرميح ومنصور الحلال) فينضمون إلى الشيخ أبي عبد الكريم، وأنا شاهدت هذه الأحداث عن كثب وكانت إحدى الركائز لهزيمة عبدالله النصر.

ونسيت مقالتك التي عبّرت فيها عن الشيخ أبي الحسن الخنيزي بعالِم الشعب، المقالة التأبينية التي نشرت في ذكرى الإمام الخنيزي صفحة 371 -372-373 المطبوعة المؤسسة العالمية للكتاب بيروت - لبنان 1418هـ/ 1998م، وما معنى عالِم الشعب؟ هل هو الذي يعيش في برجه العاجي أو الذي يشارك الناس آلامهم وأفراحهم ولا سيّما الطبقة الفقيرة منهم، فالشيخ أبو الحسن الخنيزي هو الذي ينزل إلى أصحاب الأكواخ في أكواخهم فيعلمهم الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة التي نصّ عليها الإسلام.

مع السيد/ حسن العوامي:

كما وقع الأستاذ سيد حسن العوامي في مقاله (القضاء الشيعي في القطيف) الواقع والطموح، ص43 بمجلة الواحة العدد العشرين الربع الأول 2001م في مفهوم خطأ تاريخي حيث حصر مدة قضاء الإمام/ أبي الحسن الخنيزي في عام وتسعة أشهر، وهذا خطأ يجانب الواقع، وقد صححنا هذا المفهوم بالبراهين الواقعية. وهناك برهان ملموس، حيث كانت منهجية تلك الفترة أن يكتب القاضي مذكرة يطلب فيها من كاتب

العدل صكاً رسميًا لإثبات العقارات فيها ويعيدها القاضي لكاتب العدل لتسجيل ذلك العقار، وقد وجدت أوراقاً رسمية في عام الستين بعد الثلاثمئة والألف هجرية وما قبل هذا التاريخ وما بعده صادرة ومثبتة من الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي اطلعت عليها عند بعض الناس حينما كنت أمارس المحاماة، وأحد الذين رأيت الصكوك عنده علوي السيد أمين المحاوزي وأعطاني بعض الصور منها، وإن كنت تقصد بالعام وتسعة أشهر بانحصار القضاء في الشيخ أبي الحسن الخنيزي دون غيره بعد رحيل ابن أخيه فهذا صحيح.

وأحبّ أن أشير هنا إلى ظاهرتين ميّزتا الإمام أبا الحسن الخنيزي والزعيم أبا عبد الكريم الخنيزي، فقد وقع لكلٍّ منهما إيقاع، فأبو الحسن جاء ابنه المرحوم العلامة الشيخ عبد الحميد قبل سفره للنجف لطلب العلم ولعلّه عام خمسة وخمسين بعد الثلاثمئة والألف هجري حيث سفره كان عام ستة وخمسين بعد الثلاثمئة والألف، جاء يترافع مع شخص يدعى الشنخنخ، وباختصار حكم الوالد على الابن وربح الدعوى الشنخنخ، وهذا الحدث سمعته من نفس العلامة وكان يردده معجباً به.

كما وقع للشيخ أبي عبد الكريم ترافع عنده بين أبيه وشخص من إخواننا السنة وحكم أبو عبد الكريم على أبيه وربح الدعوى الآخر، وهذه غاية النزاهة والعدل حيث لا يفرق الخنيزيان بين ذي رحمٍ أو بعيد.

عودة لرجال عاصرتهم والمجتهدين الأربعة:

كما حصرت يا أبا كامل المجتهدين في أربعة ونسيت العلامتين الشيخ محمد بن نمر، والشيخ حسن علي البدر، والصحيح أن تقول ستة. وقلت عندما رحل الشيخ أبو عبد الكريم: إنّ جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود أرسل برقية إلى أسرته، وهذا خلاف الواقع إنما البرقية جاءت تعزية باسم الشيخ أبي الحسن الخنيزي، والحقيقة بنتُ البحث، وإنّ علماء القطيف هم الذين قادوا مسيرة الخير كلٌّ بما أعطاه الله من طاقات وخدموا هذا الوطن، فجزاهم الله خير الجزاء.

اقتراح:

وبقيت عليّ فقرة واحدة هي اقتراح عليك يا أبا كامل: أن تصلح الأخطاء التاريخية منذ الحلقة الأولى حتى هذه الحلقة، ومن ضمنها أنّ الزعيم علي بن حسن أبو السعود عيّن في المجلس البلدي عضواً بأمر ملكي، وفي تلك الفترة كان التعيين والفصل وحتى رئيس البلدية وموظفيها وجميع أجهزتها تعيينهم وفصلهم خاضع إلى سمو أمير المنطقة الشرقية المرحوم الأمير سعود بن جلوي حيث لم تنشأ وزارة للبلديات، واقتراحي أن تضمّها وتجمعها في كتاب يرجع إليه وأنا ما كتبت هذا التعليق إلا للتصحيح وليس لهدف غير ذلك، وحتى تعرف الأجيال هذا التراث الضخم وتعرف الخطأ من الصواب.

والله الموفق للجميع لما يحبّه ويرضاه.



الحياة حركة

إنّ الحياة حركة في دورها يتعاقب عليها الجديدان، يسيّرهما حكيم، فلولا اختلاف الليل والنهار لما عرفنا عدد السنين وما استطعنا أن نكتب تاريخاً لهذه الحياة ككل أو كفردٍ، لم نعرف تاريخ الأمم والشعوب وما تلقاه من مرٍّ وحلو وبسمة ودمعة ومرض وصحة، فالحياة سجل حافل بالآيات والعبر ولكن لمن اعتبر كما قال الشاعر:

عبرٌ لو ورَاهنّ اعتبار ... وادكارٌ لو ينفع الإدكار

فالبشر يمرّ بين اختلاف الجديدين ويأنسه أن يطويهما ولا سيما إذا كان له مطلب مدي مؤجل ومحدد في وقت ما، يحب انطواء الأيام ليصل إلى ذلك الهدف المادي وكأنّ هذه الأيام تنسلخ من عمره وتقربه إلى الغروب.

يسرُّ المرءُ ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهنّ له ذهابا

ذهابهن وصوله إلى الأجل المحتوم، فهو يعيش غارقاً في التفاهات

ويضيعوها في فراغ صقيع حتى يفيق على مرير واقعي، فراقه لهذه الدنيا الدنية التي لم يتزود من ممرّه إلى مقرّه الأخير، فيضرب أخماساً في أسداس ويتحسّر على أنه أضاع لياليه وأيامه بدون أن يكسب منها خيراً، برغم ما رآه من البينات والآيات الواضحة.

ففي كلّ يوم يشيّع له ويودع آلافاً من الإخوان والأصدقاء! ألا يحسّ أنه سيلحق بهذا الركب إلى مقرّه الأخير، فوا حسرتاه على ما فرط في جنب الله، ولا يفيد التحسّر بعد فوت الأوان، ألا فانتبه أيّها الراقد وافتح سمع قلبك لذكر ربك وسِر في أوامره والانتهاء عن زواجره حتى تخرج من هذه الحياة مطمئنّ القلب عندما تلقى ربك مشتاقاً إلى لقائه، تتلقاك الملائكة بسلام (سلام عليكم طبتم) كما حكاه خالقنا في كتابه المجيد العظيم، وقد جاءتنا الرسل والقرآن العظيم وكلها أنوار تخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، فالله بعباده رؤوف رحيم.

كنت في حيرة وتردد عندما أصبت في مطلع عام 1438هـ وبالتحديد في آخر شهر محرم في يوم 19 منه الموافق شهر 20 أكتوبر 2016 بحالة مرضية وكانت هذه الحالة الإصابة بالفتق، فأجريت العملية في مستشفى أرامكو السعودية، وبعد إجراء العملية ورجوعي إلى البيت شعرت بحالة تشابه الانسداد المعوي ولم أستطع النوم أو الأكل ولم تمضِ على تلك العملية غير ستة أيام فقط، فعدت إلى المستشفى، وبعد الفحوص الطويلة لم يصلوا إلى ذلك الداء الذي ألمّ بي بعد العملية الأولى وقرر تنويمي مرة أخرى.

كانوا في حيرة، فقرر في تلك الليلة العملية التي اسمها العملية

الاكتشافية وكان فيها مخاطرة، فقلت لهم: إني توكلت على الله ربي وربكم، ولا يجري المولى العظيم إلا ما في صالح عبده. فأجريت العملية في ليلة 25 من محرم الشهر نفسه والعام الموافق 26 أكتوبر 2016 وكان الخطأ منهم أنهم ضربوا الزائدة الدودية في العملية الأولى خطأً، فماتت الزائدة الدودية فسبّبت لي بعض الانسداد المعوي فأذلوا خطأهم الذي لم يعترفوا به.

وبعد هاتين العمليتين خرجت من المستشفى والحمد لله ولها مضاعفات طويلة، منها فقد الاتزان، فلم أستطع أمشي وحدي، ولا أذهب للحمام ولا الاستحمام، فعطلت حركاتي تقريباً، إلا عقلي لا يزال يضيء لي فأقرأ وأكتب شعراً ونثراً وأناقش به مسائل فكرية وعلمية في الجلسات الفكرية التي لا تزال عامرة بالأدباء والمفكرين كما كانت من قبل، ولم يتغير عليها تغيّر ولا تبديل.

فأنا أستقبل العلماء والمفكرين وأطرح عليهم المسائل الفكرية والعلمية وأطلب منهم النقاش والجواب، وهذا من فضل ربي، وأنا أحمده وأشكره فوق الحمد والشكر، ولا أزال في أمل ورجاء لم أيأس ولم أقنط من رحمة ربي أن يعيدني إلى سيرتي الأولى قبل العمليتين، إنه قادر على كلّ شيءٍ يحيي العظام وهي رميم.

قال تعالى: (ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين).

لقد كان لحركة الحياة سرٌّ من الأسرار الإلهية التي تدقّ على عقول البشر فهي من آياته الدالة على وحدانية الخالق وظهور وقدرته وعظمته،

قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار).

فهذه الآية الكريمة العظيمة صورت الكائنات وما فيها من أسرار وفوائد للبشر وذكر عظة للحياة وللموت للذين يفكرون أصحاب العقول تقف حائرة في وصف الصور الكونية التي تعرف البشر بصلتهم بخالقهم فالبشر أينما كانوا.

وهذه التوطئة كتبتها لمدخل سأصوره وأجسّده في حرف. وقد حدّ من نشاطيَ الادبي والفكري حيث أصبت في هذا العام الحالي التي أوشك على الانتهاء وتغرب طيوف شمسه عام 1438هـ في أول شهر منه شهر محرم الموافق شهر أكتوبر 2017 ميلادي بما اضطرّني لعملية جراحية، الأولى ولدت لي عملية جراحية ثانية حتى اضطرتني أن أجلس في بيتي، بل أكثر من ذلك، أحتاج إلى معينٍ، فلولا رحمته وفضله عليَّ لما استطعت أن أتحرك هذه الحركة، وأن يكون فكري وعطائي ما زال متدفقاً في حرف يضيء عتمة الحياة.

ورغم هذه العمليات في قلبي أمانٍ مشرقة كضوء الفجر أجسّدها على صعيد واقع الحياة، ومن تلك الأماني التي أرجو أن تكون خالصة لوجه الله غير مشركة معه شيئاً غيره، وطالما تمنيتها، وهي إقامة مركز يتضمن مشاريع خيرية ترضي الله ورسوله أسمّيه باسم مجلس الإمام الشيخ علي الخنيزي برًّا وصلةً بأبي، فمنّ الله عليَّ، وهذا من فضل الله

لأشكر أم أجحد الذي منَّ الله عليه به، وكان التأسيس في شهر صفر عام 1435هـ حتى تم المشروع الخيري وبلغني الله إلى افتتاحه في ليلة من أسعد الليالي، ليلة عيد الغدير ليلة الثامن عشر من ذي الحجة عام ثمانية وثلاثين بعد الأربعمئة والألف الموافق 9/9 /2017، فقد قام الولد الأديب الأستاذ محمد رسول الزاير بتسجل تاريخ هذا الافتتاح لهذا الحدث سنثبت هذه القطعة الشعرية هنا:

قل لمحمدِ السعيدِ هنيئا بثوابٍ من الإلهِ الخبيرِ

إذ أقمت صرحاً علياً لأبيك الإمامِ الكبيرِ

فلك الأجر مذْ أرّخوه بِاسْمِهِ بعيدِ الغديرِ

وسنرفق صورة من هذا المقطع الشعري في هذا الكتاب بخط شاعرها.

كم بقيت في النفس من مشاريع خيرية لا يعلمها إلا خالقي ومدبري، فأتضرع إليه لتحقيقها وتجسيدها على الواقع، إنه مجيب الدعوات، وفي عقيدتي إنه لن يرجعني خائباً سبحانه وتعالى ما طلبت منه فعل خيرٍ إلا وكان في عوني، وقد حققت ما تضرعت به إليه وطلبته منه إنه أجابه دعائي مجيب الدعوات.

وأختم هذا الحديث بهذا الدعاء المضيء للقلوب الذي يلج أسماع القلوب المفتوحة كما يلج الضوء من الكوة إلى الحجرة:

(ربِّ وفقني لصالح الأعمال والصواب في الفعال إنك أنت الكبير المتعال).

تأريخ افتتاح مجلس
"الإمام الخنيزي"

قل لمحمد السعيد هنيئاً بثواب من الإله الخبير
إذ أقمت صرحاً علياً لأبيك الإمام الكبير
فلك الأجر مذ أرخوه بسمه بعيد الغدير

١٨/١٢/١٤٣٨

محمد رسول الزاير



شكراً نادي الكوثر

هذه الكلمة ألقاها الأستاذ الولد العزيز أديب محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي ليلة تكريمي من نادي الكوثر في ليلة النص من شهر رمضان المعظم حيث كان الاحتفال في مجلس الأمام الشيخ علي الخنيزي ، ولقد أشرنا إلى ليلة تاريخ الاحتفال في ذيل هذا المقال.

هذه الكلمة أقدّمها شاكراً الأساتذة رئيس نادي الكوثر وأعضائه.

إنّ الحياة في دورتها التصاعدية بين صفحاتها دروسٌ وعبرٌ تتجدد مع تجددها، فالليل يعقبه النهار والنهار يعقبه الليل لا يتخلفان، قال تعالى: (لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكلٌّ في فلكٍ يسبحون) صدق الله العلي العظيم.

فهذه الحركة الدائبة تدلّ على أنّ الله واحدٌ لا شريك له يتصرف في هذا الكون فيما يصلح لعبيده وسخّر لهم هذا الكون، بحره وبره وفضاءه، ينتفعون به ويأكلون من ثمراته، ولكن الإنسان جحود لا يشكر

هذه النعم ولا يفكر في عظمة خالقه الذي آتاه هذه النعم حتى بلغ به الجحود ما جاء في بعض الآيات القرآنية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

أيها الإنسان الضعيف، أيّ علمٍ أوتيته قبل أن يوجدك خالقك، أم حين كنت نطفة من أمشاجٍ، أم حين كنت في بطن أمك لا حول لك ولا قوة. لولا عناية خالقك، أيّها الإنسان الضعيف المغرور، في أيّ دور من أدوار حياتك كنت فيهما مستقلاً لا تحتاج لمنشئك وبارئك، ولولا هذه العناية والتفضل من خالقك لما بقيت على ظهر هذا الكوكب لحظة واحدة، أليس عندك عقل تفكر به، بسم الله الرحمن الرحيم (إنّ في خلقِ السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك وقنا عذاب النار) إلى آخر الآيات الكريمة. صدق الله العليّ العظيم.

إنّ هذه المقدمة هي تنبيهٌ لشبابنا المؤمن ليفكروا في عظمة خالقهم الذي خلق هذا الكون بذراته وجزئياته، وهذه التوطئة لشكر الأساتذة، رئيس نادي الكوثر وأعضائه على جهودهم وأعمالهم وتشجيعهم لذوي

الفكر، فهم في جهودهم الخيّرة وأعمالهم الطيبة، فهم السبّاقون دائماً إلى الخيرات.

وهذا الحفل الذي نحن فيه من ثمار جهودهم الذي أقامه تكريماً لي في هذه الليلة المباركة في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان عام 1439هـ الموافق 28 مايو 2018م وهي ليلة مولد الإمام الحسن عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تتضاعف فيه الفضيلة والبركات في مجلس الإمام الشيخ علي الخنيزي بحي الحسين، وأختتم حديثي بشكري وعجزي عن عدم قدرتي لكامل الشكر.

لست أسطيع أن أوفيّك شكراً

وخطوب الزمان في شفتيا

أأكافيك يا رفيق الدراري

بشعورٍ يجسّد الحبّ حيّا

فلك الشكر والنعيم ثناءً

مستضاءً ودائماً سرمديّا

13 رمضان 1439هـ

28 مايو 2018م





فقدنا الشاعر الموهوب

هذه المقالة في تأبين الشاعر أحمد الكوفي، نشرت في مجلة الواحة، العدد الحادي والأربعون - السنة الثانية عشرة - الربع الثاني 2006م، وقد وقع فيه خطأ في نسبة القصيدة الرائية لغير الذي قيلت فيه، وقد صححنا الخطأ والصحيح ما كتبَ في هذا الكتاب.

تمرّ الليالي وتذهب الأيام وتنطوي الأعوام والأجيال وناقوس الحياة يدقّ إيذاناً للرحيل الذي ينتظره كلّ حيّ؛ ونحن لا نستعدّ له حتى تحين ساعة الصفر، وإذا بذلك الإنسان جسدٌ هامد قد سكنت نبضات حياته، وإذا الأيام التي مرّت به قد انتهت ونسيه كما نسيه التاريخ الذي ملأه حركةً ونشاطاً وقوةً حيث كان عاملاً في هذه الحياة، كلٌّ في مجاله الذي خصصه لنفسه أو أعدّته له ظروفه بالبناء في مضمار الأعمال على هذا الكوكب وذلك حسبما تقتضيه الإرادة الربانية لإعمار هذه الأرض.

ولا شك أنّ فقيدنا المرحوم أحمد بن سلمان الكوفي الذي كانت

حياته في ضنكٍ من العيش وإعسار المال، ولهذا لم تمكنه الظروف من التعلم بشكل كامل فالتحق بالأستاذ الكريم الفاضل الشيخ ميرزا حسين البريكي وقت فراغه ويرتاد مجلسه بين الحين والآخر، وكان الشاعر في خدمته وقضاء حاجاته فاكتسب من ذلك خبرةً ومقدرةً حين استماعه من دروسه ولا سّيما حين يلقي الشيخ ميرزا دروسه على تلميذه، ومن ضمنها حضوره درس الأستاذين المرحومين محمد سعيد المسلم والسيد علي باقر العوامي.

ولا شك فإنّ الموهبة وقوة الذاكرة أعطتا فقيدنا مقدرةً على الاندفاع في مضمار هذا المجال بتعاطي الشعر، كما أنّ فقيدنا العزيز هو من أولئك الذين نذروا أنفسهم للعمل، حيث كان عطاءً ملموساً، وليس أدلّ على ذلك من تقلّبه في ميادين العمل أسوةً بالرجال العاملين.

فقد كان مبدأ حياته العملية في الغوص حين كانت من الأعمال السائدة في الخليج لاستخراج اللؤلؤ وغيره، وله مواسم مخصوصة في الصيف من أيام السنة ثم يتوقف العمل فترة فيبتاعون ما يتحصلون علية لأقواتهم في فترة التوقف.

وعندما قلّ وارد هذا العمل وبدأ الناس يتركونه لكساد اللؤلؤ الطبيعي لظهور اللؤلؤ الصناعي ووجود أعمال أخرى بديلة، أخذ الشاعر المرحوم يمتهن طبخ ثمر شجر الورد وتصعيده ليكون منه ماء الورد المعروف، وكذلك ماء البهار، وهو زهر الحمضيات وطبخ قروف الفحال الذي يكون من ثمره حبوب لقاح النخيل عندما ينشق القُرف عن هذه الحبيبات فيكون طحيناً عندما يجف. والقرف بعد ذلك يُطبخ طبخاً جيداً

فيكون من بخار الماء قطرات تسمى ماء القروف، وهو طيب النكهة حسن الرائحة يضاف إلى ماء الشرب أحياناً فيكون الماء لطيفاً آنذاك.

ومع حاجته وما يعانيه من الضائقة المالية والمعيشة الضنكة فإنّ له موهبة شعريةً ممتازة. وكما نعرف فإنّ المواهب الشعرية هي من ألطاف الله تعالى وعطائه، وهي قريحة فيّاضة متى ما رعاها الإنسان بتنمية الثقافة الفكرية ليضيف للموهوب مكسوباً أعطت ثمرها، وهذه الطريق التي صار عليها شاعرنا المرحوم.

وبدأ يتعاطى الشعر أيام شبابه حيث كان- وكما أسلفنا- من جلساء مربّي الجيل وربّ المنبر ميرزا حسين البريكي، فقد تفاعل معه في هذا الجوّ المفعم بالأدب والعلم، وجاء شعره من المقفى الموزون الرصين السلس.

وإليك شيئاً من شعره، أقدّم منه مقطعاً من قصيدته الدالية التي رثى بها الإمام الشيخ علي أبو حسن الخنيزي المتوفى ليلة الأربعاء من واحد وعشرين ذي القعدة 1363هـ.

بمن الحيارى تهتدي من بعد فقد المرشـدِ؟

وبمن تراها - بعد مولاها (علي)- تقتدي؟

من ذا يقوم مقامه يقضي بشرعة أحمدِ؟

قد كنت بدراً نستضيءُ بنوره المتوقَّدِ

ومقطع آخر وهو مقطع من قصيدة رثى بها المرحوم فضيلة العلامة

الشيخ محمد علي الخنيزي في ذكرى أربعينه، إشادةً بشعر فقيدنا الشاعر العزيز، وهي:

ذكرى تهيج شجي الصدور

وتثير للحزن المريرِ

ولهاً يشبُّ لظى الجوى

في كلّ قلب ذي شعورِ

ذكرى مرور الأربعين

لغيبة البدر المنيرِ

يومٌ به غشّي المصاب

جميعَ أنحاء الثغورِ

والقصد من ذكر مقطعين من القصيدتين لعرض بعض إنتاج هذه الموهبة لشاعرنا.

ولك أن تتأمل في قصائده المختلفة لتقف على جزالة شعره وعلوَّ نفسه. كما أنّ فقيدنا المرحوم كان يتسم بالهدوء والصلاح عند عامة الناس والثقة عند رجال الدين العلماء الأعلام الذين حملوا مشعل العلم والقداسة يقدرونه لمعرفتهم به.

وقد استمرّت هذه الموهبة الشعرية إلى آخر أيام حياته حيث لم ينضُب معينه بل هو عطاء متواصل لا سيّما في مدائح ورثاء أهل البيت

النبوي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وطبع له ديوان شعري يحتوي على جميع أشعاره، بتاريخ 1423هـ/2002م.

فرحم الله فقيدنا العزيز برحمته الواسعة.





السيرة الذاتية للمؤلف

- الاسم:

محمَّد سعيد بن الشَّيخ عَلِيّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ.

تاريخ الميلاد: 1925/2/2م.

العنوان: - المملكة العربية السُّعودية

- المنطقة الشَّرقية - القطيف

الرمز البريدي: 31911 ص. ب: 879

هاتف - فاكس: 8551013/ جوال/0531026099

«محمَّد سعيد ابن الإمام الشَّيخ عَلِيّ أبو الحسن الْخُنيزيُّ»

موجز
السيرة الذاتية

ولدتُ في اليوم والشهر مِن العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي في الصفحة الأُولى من هذه السّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ علي أبي الحسن الخنيزي الَّذي كان مرجعًا وقاضيًا لجميع المذاهب مِن سنة وشيعة. ويرضون جميعاً بحكمه.

أُصبتُ في السادسة من عمري تقريباً بأثمـنِ كنزٍ في حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة من عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب؛ لأنَّ ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب في ذلك العصر، ويديرانه ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلة الشَّيخ محمد صالح البريكي صباحاً، وأخوه فضيلة الشَّيخ ميرزا مساءً.

وهذا الكُتَّاب يُعلّم كتاب الله تعالى، ونمطًا من الخطّ، وضربًا من أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمة، الَّذي هُوَ بعض دروس الرياضيات اليوم. كما يعطي لونًا من الشّعْرِ العربي ويشرح بعض كلماته، ويطلب من الطُّلاب حفظ ذلك الشّعْرِ. وللكُتَّاب أسلوب ومنهجية في دفعِ الأجورِ، وأيَّام التَّعليم طيلة الأسبوع،

والإجازة يوما الخميس والجمعة، ولا تتخلّل الدّراسة فسحات يرتاح فيها الطُّلاب من جهدِ الدّراسة.

وقَدْ تخرجتُ من هذا الكُتَّاب بعد أن اجتزت مراحله التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبيًا عَنْ طريق الحفظ القلبي لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثة عشرة. وبعد فترة هيأني والدي للدّراسة، لأتخصص في العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللغة العربية، ومِنْ كتبها:

1. متن الأجرومية شرح الدحلان.
2. قطر الندى لابن هشام.
3. ألفية بن مالك.
4. مغني اللبيب لابن هشام.

كما قرأت بعض الكتب العقلانية والفلسفية، مثل:

5. الحاشية في المنطق.
6. الشَّمسية في المنطق.

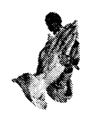
وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت البيانية الَّتي تحتوي عليها. وقرأت كتاب النظام، وهو يبحث في تصريف الكلمة ويسمى علم الصرف، ومعالم أصول الفقه وهذا الكتاب قرأته على يد والدي الإمام الخنيزي، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتباً من أصول الفقه.

فوجئت وأنا في ربيع الدّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي، فكان

لموته انحسـار كانحسار الرَّبيع عَن الورد، فأصبحت كالحقل الذي جفَّ ماؤه، وعلى الرغم مما عانيته من الثالوث غير المقدس "الفقر- وإصابتي بالعين- وفقد أبي"، واصلت دراستي العلميـة، وكنت أقتل أوقاتي في الدروس، كما أنني أدرّس ثلَّة من الطلاب، سنشير لهم فـي الصَّفحة المخصَّصة بهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَـد وضعـت سيرتي الذاتية في كتابٍ، يتكوَّن من مجلـدين سمّيته "خيوط من الشَّمس"، يحتوي هذه الحياة البسيطة، وما عانيت من حلوٍ ومرّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمرّ بحياتي الذَّاتية، أو ما يتصل بالقنوات التاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السِّيرة.

الوظائف

لم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرًّا غير مرتبط بدائرة، أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة في القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.





أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت بي عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل "المحاماة" مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.





الأساتذة

الأساتذة الَّذين تلمذت عليهم، هم:

1. والدي الإمام الشَّيخ/ علي أبو الحسن الخنيزي.
2. العلاَّمة الشَّيخ/ عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي.
3. العلاَّمة الشَّيخ/ فرج العمران.
4. العلاَّمة الشَّيخ/ محمَّد صالح المبارك.
5. الشَّيخ/ محمَّد صالح البريكي.

وهؤلاء العلماء كلّهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي، فهو لي كجامعة من المعارف.

أبرز التلاميذ:

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثْر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون، غيـر أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم:

1. فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ عبدالله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم في الحياة الفكرية بثروة أثرى بها في حـرفٍ في كتبٍ متعددة الألوان، خدم بها اللُّغة العربية والفكر والعقيدة .
2. الشَّيخ عبـاس المحروس، حيث أصبح خطيباً.
3. عبدالغني أحمد السنان، حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية.
4. محمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، وأصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف.
5. الشاعر الأستاذ عبدالواحد الشيخ حسن الشيخ علي الخنيزي، وهو أحد رواد الفكر القطيفي وشخصية من الشخصيات الوطنية.
6. مهنا الحاج حسن الشماسي.
7. محمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفياً غير محدود.
8. فؤاد عبد الواحد على نصر الله، حيث صـار صحفيًا.
9. الأستاذ سعود عبد الكريم الفرج، حيث أصبح كاتباً ومؤرخاً.
10. محمَّد وحسن، أبنيّ أستاذي العلامة الشَّيخ فرج العمران.
11. الشيخ جاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر.

12. جمال عبد اللطيف.

13. حسن أحمد الطويل.

14. قاسم بن ملا محمد العيثان.

15. الدكتور حسام سعيد سلمان آل حبيب، حيث أصبح طبيباً من أبرز أطباء المملكة.

16. علي زكي الخنيزي.

17. محمد علي محمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي.

18. علي محمد المحمد علي.

19. محمد وحسن ابني نبيه محمد سعيد الخنيزي.

وهناك طلاب آخرون لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم.





السيرة العملية

إنَّ سيرتـي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرّ - وهي المحاماة - فإنَّنـي لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص أو العام على حدٍّ سواء، إنَّما استعملت معارفـي العلمية في المحاماة، وصـرت لا أقبل مرافعـة في قضيـة، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفـة وسائل حججها ووثائقها، فإذا طبقتها حسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثر القضايا بفضل الله وتوفيقه.





رؤية ودراسات

لا بُدَّ من إشارة مقتضبة لما قام به المفكرون والأدباء من دراسات عميقة عن أعمالي الأدبية، وقد أشير لبعضها في مقدمة ديوان مدينة الدراري، إلى الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدّراسة الَّتي في مقدمة كانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسات متفرقة، لم يُجمع شتاتها في كتيب يبقى رصيداً ومرجعاً، لمن أراد الدراسة عن هذه الأعمال.

وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخلية والخارجية، وفي كتب كثر، كما أذيعت حلقات دراسية من إذاعات عربية وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميع محطاتها، ومن راديو لندن في رياض الشّعْر، وأكثرها أشير لها في كتاب "خيوط من الشَّمس".

كما شاركت في عدَّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل بن فهد عام ثمانية بعد الأربعمئة والألف هجرياً، والندوة

الفكرة الأدبية الَّتي أقامها لي الـنَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام 1419هـ وأقام النادي نفسه ندوة سمّاها بعيون الشعر في محافظة القطيف بقاعة مركز الخدمة الاجتماعية ألقيت فيها قصيدة عنوانها (عَلى كفّ عفريت).

كما تمّ تكريمي من وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقرى بصفتي أحد رواد الفكر في المملكة مع ثلة من رواد المملكة في معرض الكتاب بمدينة الرياض تحت رعاية خادم الحرمين، وقد حضر عنه بالنيابة الأمير سطّام نائب أمير مدينة الرياض وقد صدر كتاب عن الرواد يتضمن نبذة عن حياتهم مع صورهم الشمسية، كما منحتُ شهادة تقدير من الدكتور خالد وزير التعليم العالي وجائزة (درعاً وكأساً وميدالية) كتب عليهما اسمي.

تكريمي عن طريق منتدى حوار الحضارات
برئاسة/ الأستاذ فؤاد عبد الواحد علي نصر الله

نشر هذا التكريم مع قصيدة مهرجان البيان التي ختم بها الشاعر وحيًّا بها المحتفلين في ذلك الحفل في ملف خاص بمجلة الواحة العدد الحادي والستين السنة السابعة عشرة ربيع 2011م.

فهذا المنتدى له نشاط فكرى طار صداه، فملأ آفاق المملكة ذكراً ومجداً، وقد سبق أن احتفل بي أيضاً. وكرمت في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بمدينة الدمام، كما أقام لي النادي السابق ذكره أمسية شعرية في مقرّ جمعية القطيف بمحافظه القطيف، وكرمت على صعيد أفق عالمي مع رواد الفكر والمؤلفين السعوديين، وقد قام بهذا التكريم

معالي وزير التعليم العالي الدكتور/ خالد العنقري، وقد اقترن هذا التكريم مع افتتاح معرض الكتاب الدولي بمدينة الرياض برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدلله بن عبد العزيز آل سعود، ولم يكن أحد من المنطقة الشرقية سواي وعبدالرحمن العبيد، وحين ذاك كان رئيس النادي الأدبي والرواد من المنطقة الوسطى والغربية.

وبعد تكريمنا قام سمو الأمير/ سطام نائب أمير الرياض بتوزيع الهدايا علينا نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، كما أصدر كتاباً يتضمن حياتنا باختصار اسمه (الرواد للمؤلفين السعوديين).

وقد شاركت مشاركة فكرية أدبية بدعوى رسمية بناءً على طلب سمو الأمير/ فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطاب رقم 7264 وتاريخ 1408/4/29هـ بقصيدة شعرية ألقيتها بنفسي وقد سمّيتها (في ظلال عكاظ) في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج في جلسة الافتتاح الذي أقيم بقاعة الملك فيصل للاحتفالات بمدينة الرياض بتاريخ 1408/6/15هـ وهو أول مهرجان فكرى يقام من نوعه في الخليج، وكان لها الصدى العميق في الأوساط الفكرية والأدبية واستعيدت أبياتها عدة مرات.

الإذاعات التي أذاعت عن أعمالي الفكرية والأدبية:

كما أذاعت شعري الإذاعات العالمية كإذاعة لندن، وإيران وغيرها من الإذاعات العربية كإذاعات القاهرة والكويت والبحرين، كما احتفلت بها جميع محطاتنا الإذاعية بالمملكة العربية السعودية. كما نشرت آثاري في أمهات الصحف الكبرى، مثل:

مجلة الأديب، المعارف والألواح والعرفان اللبنانيات، ومجلة الكتاب للأستاذ عادل الغضبان في القاهرة، والهاتف والغري العراقيتين، والرائد والعربي الكويتيتين، ومجلة صوت البحرين وغيرها من المجلات والصحف العربية، وفي أكثر صحف المملكة العربية السعودية كاليوم وأخبار الظهران ومجلة الواحة ومجلة الخط.

وقد كَتب عن إصدارات كتبي وأشعاري مفكرون ودكاترة كثر أشرتُ إلى بعضهم هنا وفي خيوط من الشمس، وشريحة من مفكري القطيف.

أما تكريمي في وطني القطيف فهذا أول تكريم لي يسبق به الولد العزيز الأستاذ/ فؤاد نصر الله، أحد الوطنيين، وكان له السبق والشكر، وقد نجح هذا التكريم فكان له صدًى في أوساط الآفاق الفكرية على صعيد المملكة، وكان التكريم ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة واحدٍ وثلاثين بعد الأربعمئة والألف الموافق٣٠/2010/9م، وقد تسابق وتبارى في منتدى التكريم المفكرون والأدباء والشعراء، فكان الذي يدير حفل التكريم الأستاذ/ محمد بن ميرزا الغانم فأبدع وأجاد في إدارته وفي أسلوبه الأدبي الرفيع.

ومن الشعراء الذين اشتركوا في هذا المهرجان الأساتذة:

مصطفى أبو الرز، على مهنا، وأحمد أبو السعود، وفريد النمر، محمد مهدي الحمادي.

ومن الكتاب الأساتذة:

خليل آل فزيع، سعود الفرج، محمد الشماسي، عدنان العوامي، أحمد

الشمر، فؤاد نصر الله، رئيس منتدى حوار الحضارات، عباس الشماسي رئيس جمعية محافظة القطيف، سعيد أحمد بن ناجي أبو السعود، والكاتب في جريدة اليوم الأستاذ عبد الله بن أحمد شباط.

وختام الحفل ختمته بكلمات فيها شكر لصاحب المنتدى الفكري وللمفكرين والشعراء والأدباء وإلى كلّ من شارك في الحفل وحيّيتهم بقصيدة منبعثة من قلبي تحية وشكر لأصحاب البيان والفكر التي سمّيتها مهرجان البيان.

وكان لهذا التكريم أصداء فكرية وأدبية انعكست على المسموع والمقروء والمرئي فغطت الصحف هذا الموسم التكريمي كصحيفة اليوم والوطن والحياة وصحيفة الوسط البحرانية في العدد 2955 وغيرها من الصحف المحلية والخليجية، والشبكة العنكبوتية وعلى صعيد ألوان مواقعها المختلفة وفي طليعتهم منتدى حوار الحضارات، راصد وشبكة التوافق، وغيرها من المواقع الإلكترونية.

كما اشترك التلفاز السعودي فزارني في بيتي وأجرى معي حواراً عن التكريم وعن حياتي الأدبية والفكرية في يوم الاثنين 1431/10/25هـ الموافق يوم 2010/10/4م، وأذيعت هذه المقابلة مساء الأربعاء في السابع وعشرين من الشهر المشار إليه والعام المذكور الموافق ستة أكتوبر من العام المشار إليه، وأعيدت الحلقة في مساء ليلة الخميس الساعة الثانية وعشر دقائق، وقد بقيت أعمال فكرية وأدبية لم تُلقَ حيث لم يتسع لها الوقت وتم تقديم الاعتذار إليهم.



الكتّاب الذين كتبوا عن أعمالي

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما أذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء، وهي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د /بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي - الرياض	ط1 - 1412	327
الشيخ عبدالله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط1 - 1397	231
د /بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة ع.س	دار صادر بيروت	ط1ـ1393	385

الأستاذ /محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط2ـ1411	405
	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط1ـ1410	230
	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط2ـ1382	247
الأستاذ /عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب ج	جامعة الدول العربية	ط1 ـ 1959	289
الأستاذ /عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـ الخبر	ط ـ 1406هـ	274
د /عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط ـ 1973م	36
د /عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة ع.س	دار الكتاب السعودي	ط ـ 1406هـ	82

خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـ الرياض	ط ـ 1409هـ	89
د /عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـ جدة	ط ـ 1406هـ	244
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	1406هـ	300
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط ـ 1377هـ	58
د/ الشيخ عبد الهادي الفضلي	جريدة اليوم عدد (250)		1388هـ	
الأستاذ /الخياط	البلاد السعودية			
د/ شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د /علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط2ـ 1418هـ	46،1154
	عالم الكتاب	المجلد3 ع 4	1403هـ	19،518
السيد حسن أبو الرحى	المنهل	المجلد الثاني		75

الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		150
أ /أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية - الخبر	ط - 1413هـ	159
الدائرة للإعلام	معجم الكتّاب والمؤلفين	الدائرة للإعلام المحدودة	ط2 1413هـ	52
عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء - الخبر	ط1 1414هـ	85
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة /فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا - الدمام	ط - 1414هـ	9
د /حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	ط1- 1416هـ	9
أ/ السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط1 1423هـ	40

سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط1 1417هـ	323
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط1 1418هـ	263
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الأحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط1 1424	112-408،09
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار القاهرة	1412هـ	323
خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	1415هـ	108
د/ محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	1420هـ	85
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	1995هـ	186
	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	2002م	605
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	أطياف للنشر والتوزيع القطيف	2006م	313
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	2006م	39،40

الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	1422هـ	291،292
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد 31 رجب	1425هـ	22
الشيخ علي البلادي	أنوار البدرين - مؤسس الهداية	بيروت 2003م ط1	365،374 392،394،429،429،433،	
حبيب آل جميع	معجم المؤلفات الشيعية	ط 1 1997	414، 472، 473، 478، 479، 483	
عبدالله بن أحمد الشباط	آفاق خليجية	ط 1 مطابع الوفاء 1415هـ	145، 146، 147، 148	
نزار آل سنبل	أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر	المركز الثقافي للنشر والتوزيع 2003م	335، 336، 337، 338	
كمال سلمان الجبوري	معجم الأدباء الجزء الخامس	دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2003م 1424هـ	326	
الدكتور جودة القزويني	تاريخ القزويني	المجلد الخامس والعشرون	من 93 إلى 99	

كما كتب الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجة، صاحب الندوة

الاثننية الفكرية تقريضاً لبعض إصداراتي أرفق صورة من تقريضٍ له. وكتب الشيخ جعفر الربح مقدمة لديواني إيحاءات سماوية سجل في هذه المقدمة رؤياه الأدبية، وأنا أعتزّ بهذه الرؤية الفكرية، كما نشرت هذه المقدمة في مجلة الخط العدد الثالث عشر عام 1433هـ الموافق 2012م، مضافاً إلى ما كتبته الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية.

كما قرّض الأدباء أعمالي الأدبية، ومن ضمنهم الأستاذ عباس العسكر حينما قرأ ديوان تهاويل عبقر، فقال هذين البيتين:

قرأتكَ شعراً يدقُ القلوب

وينطقُ فيهِ شعور النغم

وجدتُكَ مثل النسيم الذي

تهادى برفقٍ فهزَ القلمْ

وننقل هنا الرأي الأدبي للأستاذ عبد المقصود محمد خوجه بالنص الحرفي في إصداراتي التي قرأها، وهذا النص وليداً لقراءتها:

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر لكم إهدائي كتبكم اللافتة "تهاويل عبقر" الذي احتوى على ثمانٍ وخمسين قصيدة تنوعت موضوعاتها بين الوجدانية والذاتية

والرثاء وتميّزت بجزالة مفرداتها ووضوح معانيها، والمعرّي الشاك الذي تناولتم فيه الشاعر والفيلسوف أبا العلاء المعري من خلال اللزوميات، واستنطقتم الشاعر على أحسن ما يكون، وكان لكم ما أردتم، والشعر ودوره في الحياة رومانسيون الذي تحدثتم فيه عن عدد من الشعراء ومؤلفاتهم، سائلاً المولى أن يزيد في عطائكم لما يشكله من إضافة قيمة للساحة الثقافية العربية

ولكم تحيات وتقدير

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كما أرفق صورة من النص الأدبي

كما كتب العلامة الأستاذ الشيخ جعفر ملا حسن الربح مقدمة شاملة جسّدت حياتي بأسلوب فني نشرت في ديوان إيحاءات سماوية المنشور عام 1434هـ الموافق 2013م، مطابع المصطفى للتحقيق والنشر، كما نشرت في أحد أعداد مجلة الخط.

أقام تكريماً خاصاً بي نادي الكوثر ليلة الثالث عشر من شهر رمضان المعظم 1439هـ الموافق 28 مايو 2018م وكان تكريماً ألقى فيه الشعراء والكتاب، نخصّ منهم الأساتذة: نادر محمد سعيد الشيخ، ومحمد علي الخنيزي، وفريد النمر رئيس نادي الكوثر، دراسة تحليليةً عن كتابي المعري الشاك الذي يتناول دوانه الشعري لزوم ما يلزم وبقية الأساتذة، وختم الحفل بكلمة لي فيها شكر لهم، وكان حفلاً رائعاً وناجحاً أسأل الله التوفيق لهم.



إصداراتي

أعمالي العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
1. النغم الجريح	دار مكتبة الحياة – بيروت	1381 – 1961	شعر
2. شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	1396هـ - 1976م	شعر
3. شمس بلا أفق	الدار العالمية – بيروت	1406هـ - 1986م	شعر
4. مدينة الدراري	مطابع الرضا – الدمام – السعودية	1414هـ -1993م	شعر
5. كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ – بيروت	1416هـ - 1995م	شعر

6. تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ- بيروت	1422هـ 2002-م	شعر
7. أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء -بيروت	ط1 1428هـ	شعر
8. إيحاءات سماوية	مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر	ط1 1434هـ 2013م	شعر
9. أطياف وراء السديم	دار روافد للطباعة والنشر بيروت لبنان- دار المحجة	ط 1439هـ 2018م	شعر
10. خيوط من الشمس - قصة وتاريخ -	مؤسسة البلاغ - بيروت	1420هـ - 2000م	مجلدان- نثر
11. الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدان (المجلد الأوَّل - في جزأين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور «الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثَّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية. المجلد الثاني (في جزأين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين، والجزء الرابع خاص بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين.			

12. العبقري المغمور، وأعيد طبعه في تاريخ 1439هـ	مؤسسة البلاغ - بيروت أطياف للنشر والتوزيع	1424هـ - 2003م 2018م 1439هـ	نشر
13. ذكرى أبو نسيم	الخبر	1427هـ	نشر
14. أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ - بيروت	1425هـ 2004-م	نشر
15. أشباح في الظلام	دار المحجة البيضاء	ط 1 - 1427هـ	نشر
16. المعري الشاك	دار المحجة	ط 1 - 1428هـ	نشر
17. دراسات في شعر أبي نواس	دار المحجة البيضاء	1430هـ ط1 2009م	نشر
18. ومضات من وراء الغيوم	دار المحجة البيضاء- بيروت	1432هـ - 2011م	قصة مسرحية نشر
19. لمحات من وراء القرون	دار المحجة البيضاء		نشر
20. أيام في لندن	دار المحجة البيضاء	ط1 1434هـ - 2013م	نشر
21. تأملات	دار روافد		نشر
22. السفينة تعود	دار روافد		نشر

23. ثمانية وثلاثون يوماً في مدينة الضباب	دار روافد		نثر
24. أيام من الماضي	مخطوط		نثر
25. أحداث تاريخية	مخطوط		نثر
26. من ذاكرة التاريخ	هو هذا		نثر
27. الحرف لم يمت	مخطوط		شعر





فهرس المحتويات

من
ذاكرة التاريخ

والحمد لله ربِّ العالمين حمداً لا يحصي له أحد وليس له أمد، على ما منَّ عليَّ من فضله وألطافه من نِعَمٍ جسام، وهذا الكتاب من كرمه وتفضّله، وهذه الكلماتُ تَوطئة لتوضيح ما احتواه ذاكرة التاريخ، فهذا الكتاب يجمع عدة سوانح ومخاطرات تمرّ عليّ فتفيضُ فكراً في حرفٍ يتجسد في مقالٍ يصور ما وراء جوهر الحرف، وما يهدف له في أيامٍ وليالٍ مختلفة التاريخ حتى ثارت نجوماً تضيء عتمة هذه الحياة فترشدنا وتعطينا عبرة من تجارب الأجيال الماضية؛ لعلّنا نستفيد منها، فإنّ الماضي تجربة للحاضر، ومن لا ماضيَ له فلا حاضر له، وإنّ أخالف قول أحد الشعراء اللبنانيين، وعلى ما أظنّ إلياس فرحات:

إنا ضحكنا من الماضي ولا عجبُ

إنْ كانَ حاضرنا أضحوكة الآتي

حيث يقول ما معناه: إنّ الزمن الماضي سخرية للحاضر، والحاضر سيصير سخريةً للآتي، وهذه الفكرة خاطئة؛ لأنَّ الماضي تجربة ودرس للحاضر، والحاضر سيصير درساً للآتي.

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي



أطياف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.
المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس: 00966138549545
atyaf.qatif@gmail.com



دار روافد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: 71/868980
darrawafed@yahoo.com



ISBN 978-614-480-175-8